

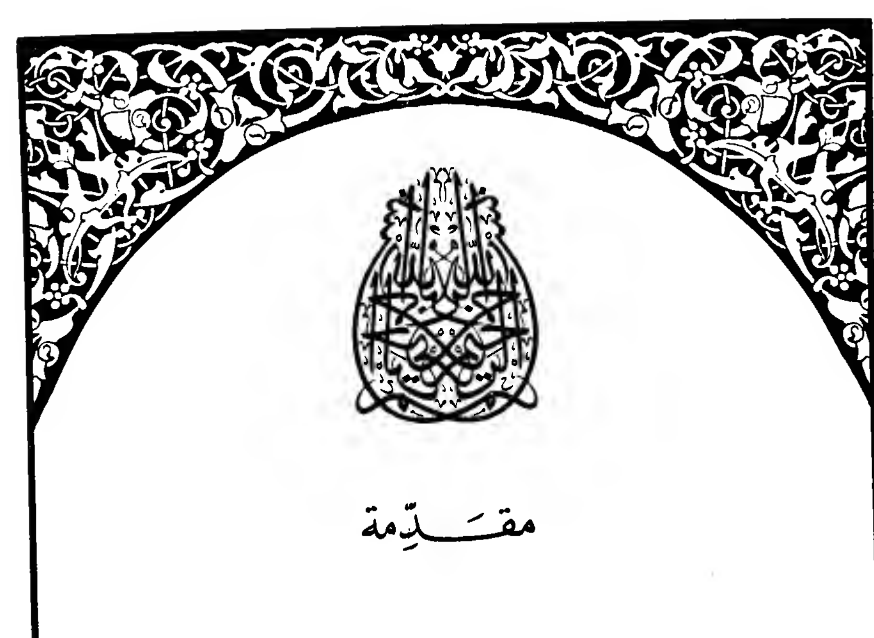
دليل عملي في مسائل الحج والعمرة ، وزيارة مسجد الرسول ﷺ حسب السنة المطهرة ، مع بيان بغايات الحج الاقتصادية والاجتماعية والسياسية

الطبعة الثالثة

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

المكتب الإسلامي

دمشق : ص.ب ٨٠٠ - هاتف : ١١١٦٣٧ - برقياً : إسلامي
بيروت : ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٠٦٣٨ - برقياً : إسلاميا



مقـــدِّمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ،
وصلّى الله على محمد وآله وصحبه .

أما بعـــد

فإن الحج ، وهو فريضة تقوم على التجرد والبساطة ، لا يمكن أن يكون على الصورة المعقدة المتراكبة التي تصورها أقوال كثير من الفقهاء. ومنهم من وقع في أوهام زادت الأمر تعقيدًا وبلبلة ...

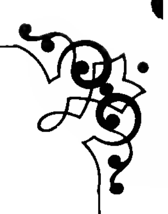
لذا سارعت إلى تأليف هذا البحث العملي من عدة مصادر على ضوء حجة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهي الحجة الوحيدة التي أداها ،

وحثنا على اتباعها بقوله: «خذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا». والسير وفق ما جاء في هذه الحجة ضمان للقبول، إن شاء الله. وهذا البحث يعطي المجال للحاج للتفرغ إلى عبادة ربه والإفادة من منافع الحج السياسية، والاقتصادية والاجتماعية مما سيرى القراء تفصيله في هذه الرسالة. والله سبحانه اسأل أن يجعل للناس في هذه الرسالة عميم النفع إنه سميع مجيب.

* * *

ملاحظة إلى أخي المسلم: إنك لا شك واجد في هذه الرسالة بعض الآراء الجريئة التي قد لا تكون سمعتها من قبل. ولكنها مدعمة بدليلها من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وسينكرها بعض من تسألهم، فلا تصغ إليهم ما داموا لا دليل عندهم. فالحذر الحذر من إهمال كلام الله سبحانه وحديث رسول الله ﷺ فتقع في تهديد قوله تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ وقوله جلّ شأنه: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا﴾

ملاحظة ثانية: ذكرنا قبيل نهاية هذه الرسالة خلاصة أعمال الحج بصورة يوميات، فعليك بها إذا لم تستطع دراسة التفصيلات. ولا مانع من الاطلاع على هذه الخلاصة قبل البدء بهذا البحث الموسع، فتنقل من الايجاز إلى التفصيل إذا كنت تخشى التشويش.



نظرات في الحج

أيها الحاج الكريم :

تذكّر – يا أخي – أنك ذاهب إلى أداء ركن عظيم من أركان الإسلام .

تذكّر وأنت تقول نداء : لَبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والمُلك لا شريك لك .

أجل تذكر وأنت تقول هذا النداء ، أنك ترفعت عن المادة واتصلت بالسماء ، وبعت نفسك ومالك لله تعالى وجعلت غايتك رضاءه .

يا أخي : إنك تركت الأهل والولد تلبية لأمر ربك ، وشوقاً إلى وطنك الروحي [1] لتؤدي فرضك وتجتمع بإخوان لك جاؤوا من أطراف الأرض ، فتعيدون جميعاً إلى ذاكرتكم حين رؤية الشعائر والآثار : تاريخكم المجيد ، وتستلهمون منه دروس العظمة والتضحية والإقدام .

---

١) لقد وصف أحد الأدباء هذا الوطن الروحي بعبارة مؤثرة فقال :=

تذكر يا أخي : أنك ذاهب إلى مؤتمر تُعقد جلساته الدورية كل عام .

ها نحن اولاء نخطو خطواتنا الاولى على الأرض الطيبة ، وئيدة متهيبة ، تلك الأرض التي كانت مسرحا لأروع حوادث التاريخ ، وأخلد ملاحم الإنسانية .

هذه الأرض التي تروي ذراتها تاريخاً طويلاً زاخراً بصوَر البطولة وألوان الكفاح والانتصار ومصارع الشهادة في سبيل الحق والمثل الأعلى . وتردد في أجوائها أصداء بعيدة قريبة ، لتلك النهضة العظيمة التي انبثق عنها ضمير الوجود منذ أربعة عشر قرناً من الزمان فغيرت معالم التاريخ وقفزت بالانسانية إلى أبعد الآفاق إن طوفاناً من المشاعر والأحاسيس يحتويني ويملك عليّ الروح والقلب والواعية ، فإذا أنا أعيش في جو تزدحم فيه صور التاريخ حية نابضة وتختلط فيه مشاعر التجرد والعبودية وأشواق التلبية والإقبال على الله .

إنها نقلة روحية بعيدة ، تفصل المرء عن حياته تلك التي كان يحياها ، وهو يصارع « الدوامة » التي تلف الحياة والأحياء وتقذف به إلى حياة جديدة ، تنفخ في روحه شحنة لا عهد له بها من المشاعر والأحاسيس ...

إنه يستدبر تلك الحياة المضطربة الصاخبة ، بما فيها من أعباء وهموم ، وروابط وتقاليد ، وقد تجردت نفسه عن ذلك كله ، كما تجرد جسمه إلا عن لباس الإحرام . ويستقبل حياة أخرى فيها هذه المعالِم ، وتتبدل الأقدار والموازين . نقلة يتحرر فيها الانسان من عبوديته للحياة ، ليسيطر هو على الحياة .

١ – إنه مؤتمر سياسي خطير ، يُحتم على المسلمين الآتين من جميع أنحاء العالم ، دراسة مشكلات البلاد الإسلامية ومعالجتها ، وفي مقدمتها البلاد العربية مناط أمل المسلمين ، ومد يد المعونة للشعوب التي تحت نير الاستعمار لإنقاذها من خطر الردة والفناء. قال أحد الساسة المسلمين : لقد وقفت أمام الكعبة ، وأحسست بخواطري تطوف بكل ناحية من العالَم وصل إليها الإسلام ، ثم وجدتني أقول في نفسي : يجب أن تتغيَّر نظرتنا إلى الحج ، يجب ألا يصبح الذهاب إلى الكعبة تذكَرة لدخول الجنة فقط بعد عمر مديد ...

يجب أن تكون للحج أيضاً قوة سياسية ضخمة ويجب أن تَهرع صحافة العالم إلى متابعة أنبائه لا بوصفه مراسم عبادة فحسب ، وإنما بوصفه مؤتمراً سياسياً دورياً يجتمع فيه كل قادة الدول الإسلامية. ورجال الرأي فيها ، وعلماؤها وكُتابها ورجال الصناعة والتجارة فيها وشبابها ليضعوا في هذه الندوة الاسلامية العالمية (برلمَان) خطوطاً عريضة لسياسة موحدة. حتى يحين موعد اجتماعهم من جديد بعد عام.

ومما يؤسف له أن صحيفة غربية واحدة لا تكتب سطراً واحداً عن الحج في كل عام ، على الرغم من اجتماع ما يزيد على مليونين من المسلمين الآتين من انحاء العالم ، وذلك لجهل المسلمين بأهم أغراض

الحج التي شرعها الله كمؤتمر عالَمي دوري يُعالج مشكلات العالم الاسلامي والبشرية جمعاء ويضع الحلول العملية لها .

كما يتدارس قضايا العالم الاسلامي تجاه المستعمرين والمبشرين والمستشرقين ويعمد لمحاربتها بوضع المخططات المضادة لها بالتعاون مع الدول الاسلامية المستقلة .

ولو حقق المسلمون أهداف الحج كما رسمها الإسلام لذُعر المستعمرون وزُلزلوا زلزالاً عظيما في كل موسم من مواسمه خشية من نتائجه الخطيرة ومغزاه البعيد ، وإننا لنسمع الرئيس الانكليزي «غلادستون» يصرح بهذا القصد في علانية لا ينقصها القُحّة ! ففي أواخر القرن الماضي وقف هذا الرجل في مجلس العموم يصيح بين أعضائه : «ألا إن العقبة الكؤود أمام استقرارنا بمستعمراتنا في بلاد الإسلام شيئان ، ولا بدّ من القضاء عليهما مهما كلفنا الأمر ، أولهما هذا الكتاب – يعني القرآن العظيم – وسكت قليلا ثم اتجه نحو الشرق مشيراً بيده اليسرى قائلاً : وهذه الكعبة[1]» . فهل استطاع الاستعمار تجهيل المسلمين بتدبر كتاب ربهم وبأهداف حجهم ؟ أترك الجواب لك أيها القارىء !

---

١) نقلا عن كتاب نظرات في القرآن للاستاذ محمد الغزالي ص ٥ .

٢ – الحج مؤتمر اقتصادي يتصل فيه رجال المال والاقتصاد والتجارة والصناعة الآتين إلى الحج من مختلف الأقطار الإسلامية الغنية بمنتوجاتها ، لعقد اتفاقات اقتصادية وحماية الانتاج الإسلامي وإيجاد سوق إسلامية مشتركة ومقاطعة بضائع وصادرات الدول الاستعمارية .

وكم أتمنى إيجاد معرض دائم لمنتوجات العالم الإسلامي في مكة المكرمة يتحتم على الحجاج مشاهدته وتشجيع مصنوعاته بشراء هداياهم منه بدلاً من شرائها الآن من مصنوعات المستعمرين الذين يأخذون اموالنا ويعيدونها سلاحاً يقتلوننا به .

ومما يؤسف له أن موسم الحج بدلاً من أن يكون خطراً ونقمة على أعداء الإسلام ، أصبح مصدر خير وثروة لهم بسبب الإقبال على شراء بضائعهم بمليارات الدولارات .

٣ – الحج مؤتمر تاريخي : نُحيي فيه أعظم الذكريات في مواطنها الأصلية بغية الإفادة من ماضينا المجيد ، ومن الديار التي سطع منها نور الإسلام ونبع فيها تاريخنا المفعم بالبطولات .

٤ – الحج مؤتمر خُلقي وعسكري لتدريب النفوس على الإخاء والمساواة والخشونة والبساطة في المأكل والملبس كما هو تدريب على الجهاد في حله وتِرحاله .

جاء في الحديث الصحيح : «إياي والتنعم ، فإن عباد الله ليسوا

بالمتنعمين» . وما عمّت النُّعومة في شعْب إلّا وأصبح عُرضة للفناء !

هذه بعض مقاصد الحج .وهذه بعض فوائده ، وقد قدّمها الله سبحانه على المناسك[1] فقال عَزّ من قائل :﴿وأذِّن في الناس بالحج يأتوك رجالًا وعلى كلِّ ضامِرٍ يأتين من كلّ فجٍّ عميق . ليشهدوا منافِعَ لَهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ...﴾(سورة الحج : ٢٨) .

وقال تعالى :﴿لَيْس عليكم جُناح أن تَبْتغوا فضلاً من رَبِّكم ، فإذا أَفضْتم من عَرَفات ، فاذكروا الله عِنْدَ المِشعَر الحرام ، واذكروه كما هَداكم ، وإن كُنتُم من قبلِه لمن الضَّالين﴾(سورة البقرة : ١٩٧) .

قال البخاري وقد أسنده عن ابن عباس قال : كانت عكاظ ومَجَنَّة ، وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية[2] ، فتأثموا أن يتجروا في الموسم ، فنزلت الآية :﴿ليس عليكم جُناح أن تَبْتَغُوا فضلاً من

---

١) أكتب هذه الملاحظات للمسلمين عامة ، وللشباب منهم خاصة الذين ربما تساءلوا في أنفسهم مستغربين أليس للحج من غاية سوى هذه المناسك القليلة بعد هذه الرحلة الطويلة الشاقة !

٢) أليس مما يؤسف له أن يكون العرب قبل الإسلام يجعلون من موسم الحج شبه سوق عربية ، ثم يجهل المسلمون اليوم هذا الهدف العظيم من موسم الحج ؟ مما سبب انهيار اقتصادهم وأدى الى ضعفهم ؟؟ !

رَبِّكُم﴾ في موسم الحج . وذكر ابن كثير عن مولى عمر قال : قلتُ : يا أميرَ المؤمنين : كنتم تتجرون في الحج ؟ قال : وهل كانت معايشهم إلا في الحج ؟!

وأرى أن من المنافع التي ينبغي أن يشهدها المسلمون في موسم الحج تجديد معارفهم[1] الإسلامية وتقوية عواطفهم الدينية ، وشحن قلوبهم بالحماسة والتضحية نتيجة الآثار التي يشاهدونها ، والذكريات التي تثيرها في نفوسهم . والتوجيهات المفروض تلقيها

= أذكر أنني في موسم حج ١٣٧٤هـ (١٩٥٤)م فتحت علبة بامية لطهيها . وكان بقربي حاج باكستاني ، فأخذ يضحك ، فسألته عن السبب ، فقال : إن البامية كثيرة في بلادنا حتى اننا نطعمها علفاً للماشية . فقلت : ليتكم تصدرونها الى البلاد الاسلامية التي لا تنتجها . ثم سألته : وماذا ينقص الباكستان من المزروعات ، قال : الزيتون ، فنحن بحاجة الى زيته . فسألته : ومن أين تستوردون الزيت ؟ قال : من فرنسا . وكانت هذه الدولة الاستعمارية في حرب طاحنة مع الجزائر. فقلت : إذن أنتم تشتركون مع فرنسا في حرب اخوانكم في الجزائر ! فقال : ولماذا ؟ ! قلت : إن المال عصب الحياة ومن أعظم أسباب النصر في الحرب . وها أنتم أولاء تدفعون لفرنسا ثمن زيت ، بينما البلاد الاسلامية في سورية وفلسطين وشمال افريقية من أعظم الاقطار المنتجة لهذا الزيت ! !

١) وكم أتمنى لو يقلب الحرم المكي والحرم المدني في جميع الشهور ، وخاصة في موسم الحج الى مدرسة منظمة قوية – كما يجب أن يكون عليه كل جامع ! – يشترك في التعليم فيهما أساتذة وطلبة الجامعات والمعاهد =

والثقافات المطلوب تعلمها في الحرمين الشريفين وفي عرفات ومنى خلال الدروس والمحاضرات والمناظرات التي تقيمها رابطة العالم الاسلامي وإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد عن طريق فرع التوعية الذي أتمنى أن يكون في الحرمين أو بقربهما ليتسنى لأكبر عدد من الحجاج سماع محاضراته ومناقشتها .

وانني أعتقد جازماً أن المسلمين لو أفادوا من موسم الحج كمؤتمر سياسي واقتصادي واجتماعي ، لا كأداء مناسك فقط ، لكان لهم شأن عظيم ، ولما تجاسر المستعمرون على الاعتداء على شعب من شعوبهم ، لعلمهم بترابطهم وتعاطفهم وتعاونهم في مؤتمرهم العالمي

= الاسلامية ، وخاصة تلاميذ الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة ، الآتون من أطراف العالم الاسلامي ، والذين يتقنون لغات شعوبهم ، فيؤلفون حلقات وندوات يعلمون فيها أقوامهم الإسلام إذا رجعوا إليهم ...

وينبغي أن تؤلف لجنة من أساتذة هذه الجامعات يطوف أعضاؤها في الحرمين بين الحجاج ويسجلون ملاحظاتهم عن أخطائهم في عباداتهم وسلوكهم ، فيصححونها لهم بوساطة الاذاعة العامة ، كما يجيبون عن أسئلة وملاحظات هؤلاء الحجاج التي يضعونها في صناديق خاصة معلقة في جميع أنحاء الحرمين ، فيجيب عنها هؤلاء الأساتذة في الاذاعة ثم تُطبع على الآلة الساحبة وتوزع وتعلق في لوحات داخل الحرمين وخارجهما .

وهكذا يصبح الحرمان الشريفان بمثابة قلب العالم الاسلامي يجدد للمسلمين دينهم – كما هو دور القلب في تجديد دم الجسم – ويبعثهم بعثاً قوياً ليفقهوا أقوامهم إذا رجعوا إليهم !

السنوي يتذاكرون ويُقدمون فيه لمساعدة المعتدى عليهم من المسلمين بالنفس والمال والسلاح .

ولكن أين كل هذا من حال المسلمين اليوم ؟! فلا يفكر أحد بغيره على الغالب وليس لهم من هدف في الحج إلا سرعة أداء المناسك . وقد اخترع لهم المبتدعون دعاء لكل شوط من الطواف والسعي ولكل حصوة من رمي الجمار ولكل قبر من قبور الصحابة ... حتى بات شغلهم الشاغل حفظ هذه الأدعية المبتدعة ، وغالباً ما يتعذّر عليهم ، فيربطون أنفسهم وراء أحد خدام المطوفين[1] فيرددون وراءه أدعية أغلبها مُبتدع كما يردد الببغاء دون فهم ولا تدبر ولا حضور ، لقد شاهدت بنفسي أحد كبار الشخصيات يجري وراء طفل من أطفال مكة يعيد ما لقنه إياه ، كما رأيت أيضاً صورة شخصية مسلمة كبيرة ينظر في أحد كتب هذه الأدعية المختلفة ،

---

١) قال الدكتور طه حسين ، وقد كان زار الحجاز لأداء العمرة : حاولت جهدي أن اتخلص من المطوفين والمزورين ، ولكن محاولاتي ذهبت هباء ، ووجدتني بين أيديهم أردد بلا وعي ما يقولونه ، ووجدتني في الوقت نفسه وحدي ، وإن كنت في صحبتهم ... كنت شخصيتين : شخصية واعية بلا كلام ، وشخصية متكلمة بلا وعي ! ! كانت الشخصية المتكلمة بلا وعي تردد كلام المطوفين والمزورين ، وكانت الشخصية الواعية بلا كلام تناجي ربها في صدق وصمت وخشوع ... فسأله أحدهم وبماذا ناجيت ربك في صمت وخشوع . فأجاب الدكتور طه حسين : قلت له سبحانه : =

وهو حائر في أمره ، فلو قضى موسم الحج كله ما استطاع حفظها واستيعابها !

وقد ذكرت خلال كلامي على مناسك الحج في هذه الرسالة الأذكار والأدعية القليلة الواردة في الطواف والسعي ، وعرفة والجمار ، وكل ذلك لا يزيد على ربع صفحة من الورق ، كما ذكرت في آخر هذه الرسالة أدعية عامة يُدعى بها في كل مناسبة ، ولم يقتصر الأمر على الأدعية المبتدعة ، بل إن هناك زيارات مبتدعة أيضاً كالصلاة في جميع مساجد مكة والمدينة الكثيرة والصعود إلى الجبال والكهوف ...! ومخاطبة كل قبر من قبور الصحابة رضوان الله عليهم بدعاء خاص ...

إن المسلمين – أغلب المسلمين – قد أبعدتهم الأوهام والبدع عن جوهر دينهم[1] وحقائقه .. وخاصة في موسم الحج ، حتى باتت

= «اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد أنت قيّم السموات والأرض ، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن .. أنت الحق ، ووعدك الحق ، والنار حق ، والنبيون حق ، والساعة حق . » حديث صحيح .

اللهم لك أسلمت . وبك آمنت . وعليك توكلت . واليك أنبت . وبك خاصمت . واليك حاكمت .. فاغفر لي ما قدمت وما أخرت . وما أسررت وما أعلنت .. أنت إلهي ، لا إله إلا أنت ! »

١) وما قلناه عن الحج نقوله عن شهر الصوم أيضاً . فإن من غاياته

الصحف الغربية الاستعمارية لا تكتب سطراً واحداً عن اجتماع مليوني حاج جاؤوا من أطراف العالم ، بينما هي تكتب الصفحات الكثيرة عن وحوش افريقية وقرودها ، وكل ذلك نتيجة فقدان اجتماع الحج من كل ما يثير ذُعر وقلق ورعب واهتمام الدوائر الاستعمارية [1] .

التقشف والاقتصاد وارسال ما يوفره المسلمون الى الشعوب الاسلامية التي تحارب الاستعمار . غير ان هذا الشهر اصبح شهر تخمة وشره وتبذير . لا يفكر فيه الصائم إلا بنفسه وبإعداد صنوف الطعام على مائدة فطوره وسحوره . فهل نألم إذا هجا أحد الشعراء المسلمين بقوله ويقصد بالهندي : غاندي :

لقد صام هندي فروّع دولة ! فهل ضار عِلْجاً صوم مليون مسلم ؟ !

١) قال أحد الزعماء : «ان فكرة اجتماع المسلمين كل عام في مكة كما قد تعلمون فكرة قديمة قدم الاسلام نفسه ، فهي أحد تعاليمه الأساسية التي نفذها المسلمون في البداية على وجهها الصحيح ، فكانت وسيلة رائعة لتعارفهم ، وبحث مشاكلهم ، وتوحيد أهدافهم ... بالاضافة إلى كونها منسكا دينياً يهدف إلى تنمية القيم الروحية في نفوسهم عن طريق تجريدهم لفترة معينة من مادية الحياة ...

ولكن الأمر لم يستمر طويلا على هذه الصورة . فلم تلبث عوامل التأخر والجهل التي بسطها الاستعمار على معظم شعوب العالم ومن بينها الشعوب الاسلامية أن شوهت حقيقة هذه الفكرة وحولتها عن أهدافها . وجعلتها مجرد منسك ديني قد لا يعلم الكثيرون من المسلمين الغرض منه ... ونحن الآن نحاول أن نعبر هذه القنطرة الطويلة التي تفصل ماضينا عن حاضرنا ، =

فكر - يا أخي - في هذه الأهداف للحج ، فكر كثيراً .

اسعَ مع إخوانك - لعقد الاجتماعات والمؤتمرات ، قابلوا المسؤولين في كل بلد اسلامي لتحقيق غايات مؤتمر الحج كما فرضها الإسلام فهي عبادات كالمناسك !

افعلوا كل ذلك ، وإن لم تفعلوا فقد أضعتم خيراً كثيراً وفتحتم ثغرة في الإسلام يدخل منها العدو لمحاربة عقائدنا واقتصادنا وتاريخنا وأخلاقنا .

والله - سبحانه - نسأل أن يجعل حجنا مبروراً وسعينا مشكوراً وذنبنا مغفوراً وجهاداً متواصلاً بفضله وكرمه .

دمشق **محمود مهدي استانبولي**

= والتي تراكمت تحتها في هوة عميقة أخطاء قرون طويلة ...

ونحن لا نسعى من وراء ذلك الى أكثر من إعادة تنظيم حياتنا طبقاً لتعاليم الاسلام الصحيحة ، وتقوية أواصر الاخوة بين المسلمين وتحويلها الى قوة فعالة تستطيع بحكم طبيعتها أن تسهم في تحقيق سلام العالم وتقدمه وسعادته .

توجيهات للحاج

إذا عزم المسلم على السفر إلى الحج أو العُمرة وجب عليه اتباع الإرشادات التالية :

١ - أن يوصي أهله وأصحابه بتقوى الله عز وجل ، وهي فعل أوامره ، واجتناب نواهيه .

٢ - وأن يكتب ما له وما عليه من الدَّين ، ويشهد على ذلك .

٣ - وعليه أن يكتب وصيته على الدوام ، فقد روى الشيخان عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال :

ما حق امرىء مسلم له شيء يوصي فيه ، يبيت ليلتين - وفي رواية : ثلاث ليال - إلا وصيته مكتوبة عنده ، قال ابن عمر : ما مرَّت علي ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك إلا وعندي وصيتي مكتوبة .

٤ - ويجب عليه المبادرة إلى التوبة النصوح من جميع الذنوب (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تُفلحون) . وحقيقة التوبة الإقلاع عن الذنوب وتركها ، والندم على ما مضى منها ، والعزيمة على عدم العودة إليها . والمسارعة إلى عمل الصالحات .

٥ – وان كان عنده مظالم من نفس أو مال أو عَرض ردها إلى أصحابها أو تحللهم منها قبل سفره كما صح عنه ﷺ أنه قال: «من كان عنده مظلمة لأخيه من مال أو عُرض فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم: إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه». رواه البخاري وغيره.

٦ – ان ينتخب لحجه وعمرته نفقة طيبة من مال حلال لما صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى طيّب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: (يا أيها الرُّسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً) الآية. وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون) ثم ذكر الرجل يُطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وملبسه حرام وغُذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك؟!) رواه مسلم.

قال الشاعر:

اذا حججت بمال أصله (دنَس) فما حججت ولكن حجت العير!
لا يقبل الله إلا كل طيبة ما كل حج لبيت الله (مبرور)

٧ – وينبغي للحاج الاستغناء عما في أيدي الناس والتعفف عن سؤالهم قال صلى الله عليه وآله وسلم كما رواه البخاري ومسلم: «ومن

يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم «لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مِزعة لحم» رواه البخاري وغيره .

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون : نحن متوكلون فإذا قدموا مكة سألوا الناس ؟ فأنزل الله تعالى فيهم (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) . وقال الزجّاج : أُمروا أن يتزودوا ، واعلموا أن خير ما تزودوا به تقوى الله عز وجل .

٨ – عليه أن يقصد بحجه وعمرته وجه الله والدار الآخرة والتقرب إلى الله بما يرضيه من الأقوال والأعمال في تلك المواضع الشريفة ، ويحذر كل الحذر من أن يقصد بحجه الدنيا وحطامها ، أو الرياء والسمعة والمفاخرة بذلك ، كأن يطلب من الناس أن ينادوه «الحاج» وأن يكتب عن نفسه بهذا ، فإن ذلك من أقبح المقاصد ، وسبب لحبوط العمل وعدم قبوله ، كما قال تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نُوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) ، (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ، ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) .

وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : «قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشِّرك ، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه» رواه مسلم وينبغي أيضا أن يصحب في سفره الأخيار من أهل الطاعة والتقوى والفقه في الدين ويحذر من صحبة السفهاء والفساق .

٩ – وينبغي له أن يتعلم ما يشرع له في حجه وعمرته ويتفقه في ذلك ويسأل عما أشكل عليه ليكون على بصيرة . ومما يؤسف له أن كثيرًا من الحجاج يذهبون إلى الحج دون أن يكون لهم علم بكيفية الحج ، فيضيعون عليهم بعض فروضه مما يبطل حجهم .

١٠ – فإذا ركب دابته أو سيارته أو طائرته أو غيرها من المركبات استحب له أن يسمي الله سبحانه ويحمده ، ثم يُكَبر ثلاثا ويقول : (سُبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مُقرنين ، وإنا إلى ربنا لَمنقلبون) ، «اللهم أني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى . اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا ، واطَوعنا بعده . اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل . اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب في المال والأهل» ، أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

١١ – أن يكثر في سفره من الذِّكر والاستغفار ودعاء الله سبحانه والتضرع إليه وتلاوة القرآن وتدبُّرِ معانيه ، ويحافظ على الصلوات في الجماعة

١٢ – أن يحفظ لسانه من كثرة القيل والقال والخوض فيما لا يعنيه ، والإفراط في المزاح ، ويصون لسانه أيضاً من الكذب والغيبة والنميمة والسخرية بأصحابه وغيرهم من المسلمين .

١٣ – ينبغي له بذل نَداه على أصحابه ، وكف أذاه عنهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة على حسب الطاقة .

١٤ – الحرص الشديد على عدم أذى أحد من الحجاج وخاصة أثناء طوافه وسعيه ورميه . بل عليه أن يؤثرهم على نفسه ويفسح لهم المجال في السير وفي الجلوس ويرفق بهم ويحسن اكرامهم وليتذكر قوله تعالى : (إنما المؤمنون أخوة .) .

١٥ – ليحرص الحاج الحرص الشديد على أداء صلواته في أوقاتها على الوجه الاكمل مع الجماعة كما أمر الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله مليه وآله وسلم . جاء في حديث رواه مسلم عن أبي هريرة : «أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال : يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد ، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخِّص له فيصلي في بيته ، فرخص له . فلما ولى دعاه فقال له : وهل تسمع النِّداء للصلاة قال نعم قال : فأجب» ، وعنه أن رسول الله قال : «والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب ثم آمر بالصلاة ، فيؤذن بها ، ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالفه إلى رجال

فأحرق عليهم بيوتهم» متفق عليه . ومما يؤسف له أنّ بعض الحجاج وخاصة النساء منهم يتركون صلاتهم خلال الحج بحجة كثرة أشغالهم . قال ابن الحجاج : وقد قال علماؤنا في المكلف «اذا علم أنه تفوته الصلاة الواحدة إذا خرج إلى الحج ، فقد سقط الحج عنه» .

١٦ – وانني انصح النساء بهذه المناسبة بافضلية المسح على الجوربين خلال ذهابهن إلى الحج وخاصة إذا كن مسافرات في البر وعن طريق السيارات ، فقد رأيت بعضهن يكشفن عن أرجلهن أمام الرجال من أجل الوضوء وهو محرم بالاجماع .

عن المغيرة بن شعبة : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توضأ ومسح على الجوربين والنعلين ، رواه احمد والطحاوي وابن ماجه والترمذي وقال : حديث حسن صحيح . وقد ورد ذلك عن كثير من الصحابة . وقد نص مذهب احمد بن حنبل على جواز المسح على الجوربين وإن كانا رقيقين . والحديث عام فيصحّ المسح على مطلق جورب . ويصح للمرأة كذلك المسح على خمار رأسها بدلاً من كشف شعرها ، فقد مسح الرسول ﷺ على عمته فقط كما جاء في الحديث الصحيح .

١٧ – وبمناسبة الكلام على المرأة فإنني أذكّر النساء بعدم الخروج إلى الحج بدون محرم للأحاديث الكثيرة الناهية عن ذلك

وإلا وقعن في الإثم . قال النبي ﷺ «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا ومعها أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها أو ذو محرم» رواه البخاري ومسلم . وإذا لم يتيسر لها المحرم فقد سقط عنها الحج ، وإن كانت تملك المال .

والحذر الحذر من اللجوء إلى الحيل وعقد المرأة على الرجل الأجنبي بصورة شكلية موقتة فإن كل ذلك حرام يأثم فاعله .

١٨ - اجتناب المرور بين يدَي المصلي في المسجد الحرام والمسجد النبوي بصورة خاصة وغيرهما من المساجد بصورة عامة لقوله ﷺ : «لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين ، خيراً له من أن يمر بين يديه» رواه البخاري ومسلم وعلى المصلي أن يتخذ سترة له .

الحج والعمرة في القرآن الكريم

«وإذ جعلْنا البيتَ مَثابَةً[1] للنَّاس وأَمْناً ، واتخِذوا من مَقام إبراهيمَ مُصلى . وعَهدنا إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ أنْ طَهرا بيتيَ للطائفين والعاكفين[2] والرُّكع السُّجودِ . وإذ قال إبراهيمُ رَبِّ اجعلْ هذا بلداً آمناً وارزُقْ أهْلَهُ منَ الثَّمراتِ مَنْ آمَنَ مِنهم بالله واليَوْمِ الآخر ، قالَ : وَمَنْ كفَرَ فأُمَتعُهُ قَليلاً ثُمَّ أضْطَرُّهُ إلى عَذابِ النَّارِ وبِئس المصير .

وإذْ يَرْفَعُ ابْراهيمُ القَواعِدَ مِنَ البَيْتِ وإسماعيلُ رَبَّنا تَقبَّلْ مِنا إنَّكَ أنْتَ السَّميعُ العليمُ . رَبَّنا واجْعلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ومنْ ذُرِّيتِنا أُمَّةً مُسْلِمةً لَكَ ، وأَرِنا مَناسِكَنا[3] وتُبْ عَلَيْنا إنَّكَ أَنتَ التوَّابُ الرَّحيمُ ، ربَّنا وابْعَثْ فيهم رَسولاً مِنْهم يَتْلو عَلَيْهِمْ آياتِكَ ويُعَلِمُهُم الكِتابَ والحِكْمَةَ ويُزكِّيهم[4] إنَّك أنْتَ العزيزُ الحَكيم» (سورة البقرة) .

---

١) مثابة : مرجعا .

٢) العاكفين : الملازمين .

٣) المناسك : طرق العبادة .

٤) يزكيهم : يطهرهم والحكمة سنة الرسول ﷺ .

«وإذْ قالَ إبراهيمُ ربِّ اجعَلْ هذا البلد آمِناً واجنُبْني[2] وبَنِيّ أَنْ نعْبُدَ الأصْنامَ ، ربِّ إنَّهُنَّ أضْلَلْنَ كثيراً مِنَ النَّاسِ ، فمَنْ تَبِعَني فإنَّهُ مِنِيّ ومَنْ عَصاني فإنَّكَ غَفورٌ رَحيم . رَبَّنا إنِّي أَسْكَنْتُ مِن ذُرِّيتي بِوادٍ غَيْر ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقيموا الصَّلاة فاجْعَلْ أفئِدةً مِنْ النَّاسِ تَهوي[3] إلَيْهِم وارزُقْهُم من الثَّمرَاتِ لَعَلَّهم يَشْكُرون» (سورة ابراهيم) .

«وإذْ بَوَّأنا[4] لإبْراهيمَ[5] مكانَ البيْتِ أن لا تُشْرِكْ بي شيْئاً وطَهِّر

---

٢) هذا البلد مكة .

٣) أجنبي ابعدني .

٤) تهوى : تميل .

٥) بوأنا : هيأنا .

٦) لا تزال النفس الانسانية تهفو الى مصدر إشعاعها الاول ، وتحنّ اليه وتقيم لذلك المعاني الهادية وتتخذ منها حافزا يرقى بحاضرها وينهض بها إلى حياة أهدى وأزكى .

والقرآن الكريم يبرز هذا المعنى فهو حينما تحدث عن الحج وشعائره ، يتحدث عن ابراهيم عليه السلام مؤسس هذا البيت ، ومقيم دعائم التوحيد في الأرض : (وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ...) عن كتاب «من الاسلام» للشيخ سيد سابق .

قال أحد العلماء الصالحين أمام هذا المشهد يخاطب المسلمين « كونوا على مشاعركم ، فإنكم على إرث ابراهيم» وقد جاشت نفسه وانفعلت _

بَيْتِيَ للطائفينَ والقائمينَ والرُّكَّعِ السُّجودِ ، وأذِّنْ في النَّاسِ بالحَجِّ يأتوكَ رِجَالاً[1] وعلى كلِّ ضامِرٍ[2] يأتين مِنْ كُلِّ فَجٍّ[3] عَميقٍ ، لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَيَذكُروا اسْمَ اللهِ في أيَّامٍ مَعلوماتٍ على مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهيمَةِ الأنعام ، فَكلوا مِنْها وأطْعِموا البائِسَ الفَقير ، ثمَّ ليقضوا تفثهم[4] وليُوفوا نُذورَهم ولْيطّوفُوا بالبَيْتِ العَتيق ، ذلكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللهِ فهو خَيْرٌ لهُ عِنْدَ رَبِّهِ وأُحِلّتْ لَكم الأنعام إلاّ ما يُتلى عَلَيْكم فاْجتَنبوا الرِّجْسَ مِنَ الأوثانِ واجتنبوا قَوْلَ الزُّور» . (سورة الحج) .

«إنَّ أوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ للنَّاسِ للَّذي بِبَكَّةَ[5] مُبارَكاً وهُدىً للعالَمين .

بهذه الذكريات فبكى وهو يقبل الحجر الاسود وقال : «هنا تسكب العبرات» .

١) رجالا : مشاة .

٢) ضامر : مهزول من مشقة السفر .

٣) الفج : الطريق الواسع المحصور بين جبلين .

٤) التفث : القذر .

٥) بكة : من أسماء مكة . إن شعائر الحج تثير في النفس ذكريات عذابا ، إذ أنها ترتبط بالواقع التاريخي لأبي الأنبياء إبراهيم وخاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً . والحج يلقي على هذه الذكريات من الظلال والألوان ما يجعلها شاخصة في العيون وماثلة في الأذهان . إن ابراهيم هو الذي رفع قواعد البيت وإسماعيل وهو أول بيت وَضع لعبادة

فيهِ آياتٌ بيِّناتٌ مَقامُ إبْراهيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كان آمِنا ، ولله على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَن استَطاعَ اليه سَبيلا ، وَمَنْ كَفَرَ فإِنَّ الله غنيٌّ عَنِ العالَمِين » (سورة آل عمران) .

« وأتموا الحَجَّ والعُمْرَةَ لِله ، فإِن أُحصِرتم[1] فما استَيْسَرَ من الهَدي[2] وَلا تَحلِقُوا رؤوسَكم حَتى يَبْلُغَ الهديُ محِلّهُ[3] فَمنْ كانَ مِنْكُمْ مريضاً أوْ بهِ أَذىً مِنْ رَأْسه فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ أوْ صَدَقَةٍ ، أوْ نُسُكٍ[4] ، فإِذا أَمِنْتُم فَمَنْ تَمَتَّعَ بالعُمْرَةِ إلى الحَجِّ فما استَيْسَرَ مِنَ

= الله في الأرض ، ومن ثم أمر الحنفاء – المسلمين – ان يتوجهوا الى بيت الله في صلاتهم . وأن يتلاقوا عنده كل عام يحدوهم الحب في الله والاجتماع عليه ليعلنوا تضامنهم واتفاقهم على اقامة شريعة الله الواحد .

١) أحصرتم : منعتم بسبب عدو أو مرض .

٢) الهدي : ما يذبح في الحج من الإبل او البقر او الغنم . ينبغي للحاج أن يذكرعند ذبح الهدي أكبر حادث وقع في التاريخ الإنساني في هذه الاماكن ، تغلب فيه جانب الله على كل جانب وانتصر الإيمان على حظوظ النفس وشهواتها . وكانت التضحية من أب كبير حان . وابن حدَث صغير أسلم نفسه قرباناً لله عز وجل . وفي هذا ما يلفت أنظار المسلمين إلى أن التضحية من أجل الحق والفناء في سبيل الله هو عين البقاء وأنه بقدر ما تعظم التضحية بقدر ما يعظم الجزاء .

٣) محله : مكان النحر .

٤) نسك : ذبيحة .

الهَدْيِ فَمَنْ لم يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثةِ أَيَّامٍ في الحَجِّ وَسَبْعَةٍ إذا رَجعْتُم ، تِلكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ ، ذلكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أهلَهُ حاضِري المَسْجِدِ الحَرام واتَّقوا اللهَ واعلمُوا أنَّ الله شَديدُ العقاب ،

﴿الحَجُّ أشْهرٌ مَعلوماتٌ فَمَنْ فَرَضَ فيهنَّ الحَجَّ فلا رَفَثَ[1] ولا فُسوقَ[2] ولا جِدالَ في الحج[3] ، وما تَفعلوا من خَيرٍ يعْلَمْهُ اللهُ ، وَتَزودُوا فإنَّ خَيْرَ الزادِ التَّقوى ، واتَّقونِ يا أُولي الأَلبابِ . ليسَ عليكم جُناح أن تَبتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكم[4] فإذا أفَضْتُم[5] من عَرفَاتٍ

١) الرفث : مباشرة النساء .

٢) الفسوق : الخروج على حدود الشريعة تلهم هذه الآية أن المرء حينما يدخل في أعمال الحج يجب عليه ان يعيش في جو من العفاف والأدب العالي ، فلا يتدنى إلى رفث ، ولا يميل إلى فسوق ، ولا ينطق بكلمة طائشة . أو ينظر نظرة فاحشة كما تشير أيضاً إلى فعل الخير ، وهو عمل ايجابي يجمل بكل مؤمن أن يهتم به .

٣) أباحت هذه الآية التجارة في موسم الحج ، وكان ذلك متبعا في الجاهلية فلما جاء الاسلام تحرج الناس منه ، فجدير بالمسلمين الإفادة من موسم الحج في التجارة وغيرها .

٤) أفضتم : نزلتم .

٥) أي مظهر أجل وأروع من تجمع طوائف من البشر ليست بينهم أرحام ولا أنساب في صعيد واحد وقد نسوا أحقادهم وأضغانهم ونزواتهم ، وشهواتهم وكلهم ضارعون إلى الله ، يهتفون باسمه ويذكرونه بالتقديس =

فاذْكُروا اللهَ عِندَ المَشْعَرِ الحَرامِ واذكروه كما هَداكُم وإنْ كُنتُم مِن قَبلِهِ لَمِنَ الضَّالِّين . ثُمَّ أفيضُوا مِنْ حَيْثُ أفاضَ النَّاس[1] وَاسْتَغْفِروا اللَّهَ إنَّ اللهَ غفورٌ رَحيم . فإذا قَضَيتُم مَناسِكَكُم فَاذْكُروا اللهَ كَذِكْرِكُم آباءَكُم أو أشَدَ ذِكْراً ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يقولُ رَبَّنا آتِنا في الدُّنيا وماله في الآخرة من خلاق ومنهم مَنْ يَقولُ ربّنا آتنا في الدُّنيا حَسَنَةً وفي الآخرَةِ حَسَنَةَ وقِنا عَذابَ النَّار . أولئكَ لَهُم نصيبٌ ممّا كَسَبوا

= والتسبيح والإكبار والإجلال ويلهجون بالثناء عليه قائلين «اللهم لك الحمد» كالذي نقول وخيرا مما نقول «اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مآبي ..»

لننظر إلى أرض الله الواسعة ولنستحضر كل المؤتمرات والتجمعات فهل نجد مجتمعا أطهر أو أبر من هذا المجتمع مع هذا العدد الوفير والكثرة الكاثرة ؟ !

إن الله سبحانه ليبارك هذا الجمع ويتجلى عليه بالرحمة والغفران .

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عدداً من النار من يوم عرفة ، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول : ما أراد هؤلاء» رواه مسلم والقول في دنو الله تعالى كالقول في نزوله ، ويده وسائر صفاته يجب الايمان والتصديق بها بدون تشبيه وتجسيم ولا تأويل وتعطيل كما هي عقيدة السلف . فإن من شبه فقد عبد صنماً ، ومن ، أوَّل ، فقد عبد عدماً ! ! فالحذر الحذَر .

١) قال البخاري : رحمه الله تعالى حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت : كان قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ، وكانوا يسمون

واللهُ سَريعُ الحِساب ، واذكُروا اللهَ في أيَّامٍ مَعدوداتٍ فَمَن تَعَجَّلَ في يَوْمَيْنِ فلا إِثم عَلَيه وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتقى واتقُوا اللهَ واعلموا أَنَّكُم إِليه تُحشرون » (سورة البقرة) .

= الحمس . وسائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الإسلام . أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ، ثم يقف بها ، ثم يفيض منها ، فذلك قوله : (من حيث أفاض الناس) قال أحد الكتاب الاسلاميين تعليقاً على هذه الآية الكريمة :

« قفوا معهم حيث وقفوا ، وانصرفوا معهم حيث انصرفوا .. إن الإسلام لا يعرف نسباً ، ولا يعرف طبقة . إن الناس كلهم أمة واحدة .. لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى . ولقد كلفهم الإسلام أن يتجردوا في الحج من كل ما يميزهم من الثياب ، وليلتقوا في بيت الله إخواناً متساوين فلا يتجردوا من الثياب ليتخايلوا بالأنساب . دعوا عنكم عصبية الجاهلية ، وادخلوا في صفة الإسلام . واستغفروا الله .. استغفروه من تلك الكبرة الجاهلية . واستغفروه من كل ما مس الحج من مخالفات ولو يسيرة هجست في النفس ، أو نطق بها اللسان مما نهى عنه من الرفث والفسوق والجدال .

وهكذا يقيم الإسلام سلوك المسلمين في الحج ، على أساس من التصور الذي هدى البشرية إليه . أساس المساواة ، وأساس الأمة الواحدة التي لا تفرقها طبقة ، ولا يفرقها جنس ، ولا تفرقها لغة ، ولا تفرقها سمة من سمات الأرض جميعاً . وهكذا يردهم الله إلى استغفار الله من كل ما يخالف هذا التصور النظيف الرفيع » .

الحج والعمرة في السنة النبوية

الحج ركن

قال النبي ﷺ :

بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا . رواه البخاري ومسلم .

أفضل الأعمال

عن أبي هريرة قال :

– سئل رسول الله ﷺ : أي الأعمال أفضل ؟

قال : إيمان بالله ورسوله .

قيل : ثم ماذا ؟

قال : ثم جهاد في سبيل الله ؟

قيل : ثم ماذا ؟

قال : حج مبرور . رواه البخاري ومسلم .

جهاد الضعيف والكبير والمرأة

عن الحسن بن علي رضي الله عنهما : أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال : إني جبان وإني ضعيف . فقال : هلم إلى جهاد لا شوكة فيه : الحج (رواه الطبراني ورواته ثقات) .

عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج .

عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : استأذنت النبي ﷺ في الجهاد فقال : جهادكن الحج ، رواه البخاري ومسلم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : «من حج فلم يرفث ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه» . رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

الحج يهدم ما قبله

عن عمرو بن العاص قال :

لما جعل الله الاسلام في قلبي ، أتيت رسول الله ﷺ ، فقلت : أبسط يدك فلأبايعك .

قال : فبسط ... فقبضت يدي .

فقال : ما لك يا عمرو ؟.

قلت : أشترط ...

قال : تشترط ماذا :

قلت : أن يغفر لي ...

قال : أما علمت أن الاسلام يهدم ما قبله ، وأن الهجرة تهدم ما قبلها ، وأن الحج يهدم ما قبله .

رواه ابن خزيمه في صحيحه مختصراً ، ورواه مسلم وغيره أطول منه .

الترغيب في التواضع والتبذل في الحج

جاءت أحاديث في الترغيب في التواضع في الحج والتبذل ولبس الدون من الثياب اقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام نذكر منها :

روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : حجّ النبي ﷺ على رحل رث ، وقطيفة خلقة تساوي أربعة دراهم أولا تساوي ثم قال : «اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة» رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما بسند صحيح .

وعن ثمامة رضي الله عنه قال : حج أنس على رحل ولم يكن شحيحا ، وحدث أن النبي ﷺ حج على رحل ، وكانت زاملته [1] (رواه البخاري) .

الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

---

١) الزاملة : البعير يحمل المتاع والطعام ، يريد أنه لم يكن له الا راحلة واحدة .

تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر[1] والذنوب ، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه . (رواه الترمذي وهو حديث حسن صحيح) .

الاشتراط في الحج

قالت ضباعة بنت الزبير للرسول ﷺ : إني أريد الحج وأنا شاكية فقال لها النبي ﷺ «حجي واشترطي أن محلي حيث حبستني» رواه البخاري ومسلم . وفائدة هذا الشرط إذا عرض للمحرم ما يمنعه من تمام نسكه من مرض أو صد عدوان ، جاز له التحلل من احرامه ولا شيء عليه .

الحجاج والعمار وفد الله

عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : الحجاج ، والعمّار وفد الله ان دعوه وان استغفروه غفر لهم . وقال النبي ﷺ وفد الله ثلاثة : الغازي والحاج والمعتمر (رواه النسائي وسنده حسن) .

---

١) لعل الحج والعمرة ينفيان الفقر بكثرة التجارة التي ينبغي ان تقرن بهما تحقيقاً لآية : (ليشهدوا منافع لهم ...) فيبارك الله فيهما .

ثمار الحج

قال النبي ﷺ من حج فلم يرفث[1] ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه (رواه البخاري ومسلم) . سأل رجل رسول الله ﷺ فقال : من الحاج ؟ قال : الشعث التّفل[2] . فقام آخر . فقال : يا رسول الله أي الحج أفضل ؟ قال : «العجّ والثج[3]» فقام آخر فقال : يا رسول الله ما السبيل ؟ قال زاد وراحلة (رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما وهو حديث حسن لشواهده) .

الحج جزاؤه الجنة

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة . (رواه البخاري ومسلم) .

---

١) قال الحافظ المنذري «الرفث ويراد به الجماع ، ويطلق ويراد به الفحش ، ويطلق ويراد به خطاب الرجل المرأة فيما يتعلق بالجماع . وقد نقل في معنى الحديث كل واحد من هذه الثلاثة عن جماعة من العلماء والله أعلم» .

٢) الشعِث المغبر الرأس من عدم الغسل والمفرق الشعر من عدم المشط اي تارك الزينة . والتفِل تارك الطيب .

٣) العج : رفع الصوت بالتلبية والثج : سيلان دماء الهدي .

الحجة المفروضة

عن أبي هريرة قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : يا أيها الناس ، إن الله كتب عليكم الحج فحجوا . فقال رجل أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت ...

قال الرجل : أكل عام يا رسول الله ؟

قال ﷺ : لوقلت نعم ، لوجبت ولما استطعتم .

ثم قال ذروني ما تركتكم ، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم . واذا نهيتكم عن شيء فدعوه . (رواه مسلم) .

من أراد الحج فليتعجل

عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال : من أراد الحج فليتعجل ! ! (رواه ابو داود وصححه الحاكم ووافقه الذهبي) .

ثواب العمرة

قال النبي ﷺ : «إن عمرة في رمضان تعدل حجة» رواه البخاري ومسلم .

وقال النبي ﷺ : «عمرة في رمضان تعدل حجة معي» رواه ابن حبان في صحيحه ، وهو حديث صحيح .

الترغيب في الاحرام والتلبية

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «ما أهل مهل قط إلا بشر ، ولا كبر مكبر قط إلا بشر ، قيل يا رسول الله بالجنة ؟ قال : نعم» . رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح ، والبيهقي إلا أنه قال : قال رسول الله ﷺ (وما أهل مهل قط إلا آبت الشمس بذنوبه) .

وقال النبي ﷺ : «ما من ملب يلبي إلا لبى عن يمينه وعن شماله من شجر وحجر» الحديث وهو صحيح وتتأكد التلبية كلما علا الحاج شرفًا أو هبط واديًا ، وقد صحت في ذلك الأحاديث .

ثواب الطواف

روى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : من طاف بالبيت ، لم يرفع قدماً ، ولم يضع أخرى إلا كتب الله له حسنة ، وحط عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة (رواه احمد والترمذي والحاكم وابن خزيمة وحسنه الشيخ احمد شاكر في تعليقه على المسند) .

فضل يوم عرفه

عن جابر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ :

.. ما من يومٍ أفضل عند الله من يوم عرفه ، ينزل الله تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا ، فيباهي بأهل الأرض فيقول :

انظروا إلى عبادي جاؤوني شعثًا غبرًا ضاجين ، جاؤوني من كل فج عميق يرجون رحمتي ولم يروا عذابي ، فلم ير يوم أكثر تعتيقًا من النار من يوم عرفة . (رواه ابو يعلى والبزار وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه واللفظ له) .

الترغيب في النفقة في الحج والعمرة

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها في عمرتها «إن لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك» رواه الحاكم وقال صحيح على شرطها ، وهو صحيح .

أي الحج افضل

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سأل رجل رسول الله ﷺ وآله وسلم ما الحاج ؟ قال : الشعث التفل[1]

---

١) قال أحد الزعماء في ذكرى الرسول ﷺ .

حينما كنت أعد ذهني للحديث في هذه الليلة تذكرت المساجد الثلاثة الكبرى التي عاش بينها النبي عليه الصلاة والسلام مجاهداً محتملاً ، ومجاهداً بانيا مؤسس دولة ، وعبداً رسولاً أكرمه الله بالإسراء ثم بالمعراج .

وسألت نفسي :

لو كان لهذه المساجد الثلاثة أن تتحدث إلينا في ذكرى مولد النبي =

فقام آخر وقال يا رسول الله ! ! أي الحج أفضل ؟ فقال العجُّ رواه في شرح السنن ورواه الترمزي ، وهو حديث حسن لشواهده .

فضل الصلاة في المسجد الحرام والمسجد النبوي وبيت المقدس

= عليه الصلاة والسلام فماذا كانت تقول لنا ؟

المسجد الحرام :

تصورت المسجد الحرام يخاطبنا فيقول :

إنكم تتجهون إليَّ في صلاتكم ، فوحدوا اهدافكم ووحدوا صفكم .

وإنكم تطوفون حولي ، فاجعلوا إيمانكم حركة .

وأنتم تأتون اليَّ فتسعون بين الصفا والمروة ، فاجعلوا حركتكم سعياً حثيثاً ، وعملاً قوياً ..

وأنتم تقفون في عرفات متجردين لله تبارك وتعالى وقد خلعتم عن أنفسكم ثبات التفاخر فتجردوا لله تبارك وتعالى حينما تعملون له ...

ف عرفات تقفون آلافاً مؤلفة كأنكم حديقة إلهية ، ترتفع أكفكم فيها وتتجاوب أصواتكم بالدعاء لله تعالى ، فتجردوا دائماً لربكم الذي خلقكم .

وإنكم لتفيضون من عرفات إلى المشعر الحرام ثم إلى منى فترمون الجمرات في أكثر من مكان ، فلا تجعلوا الايمان حباً فقط ، ولكن اجعلوه حباً ، واجعلوه عملاً تضربون به الشر حيث يكون .

اجعلوا إيمانكم تعبيراً عن حبكم للخير وعن كراهيتكم للشر . واجعلوا أيديكم تمتد بالخير والمحبة كما تمتد حامية أوطانكم وأرضكم وأعراضكم . =

عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام[1]

= وإنكم لتذبحون الهدي فلا تخافوا رؤية الدم ، فقد تحتاجون إلى أن تتعودوا رؤية الدم .

وحين توفون نذوركم فأنتم تطعمون الفقير وتكرمون الضعيف فليكن من وراء الدم المراق خير يعود على مجتمعكم ..

ويتابع المسجد الحرام حديثه فيقول :

إلى جواري حوصر نبيكم عليه الصلاة والسلام ثلاث سنوات حصاراً اقتصادياً شاملاً . الماء قليل محدود . والطعام لا يكاد يكفي ، حتى تساقط الرجال جوعاً وإعياء ، وجفت أثداء النساء ولكنهم عاشوا ببطون خاوية ، فوقها قلوب ممتلئة بالإيمان .

هنا على أرض مكة أوذي الصحابة . حوربوا في أموالهم وأقواتهم حوربوا في أبدانهم ولكنهم صبروا الصبر الجميل ، حتى نصر الله عبده ، وأعز جنده ، وعادوا إلى مكة آمنين .

١) حديث مسجد المدينة :

وانتقل إلى حديث مسجد المدينة فأسمعه يقول :

لقد بناني رسول الله عليه الصلاة والسلام قبل أن يبني بيته !

إلى جواري كان الحب الغامر بين المهاجرين والأنصار الذين وصفهم الله تبارك وتعالى بقوله : (والذين تبوّؤا الدار والإيمان من قبلهم ، يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على

أفضل من مئة صلاة في هذا» رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان

= أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) «الحشر : ٩» .

هنا حاول أعداء الحق أن يحطموا هذه الجهة الداخلية .

هنا حاولوا أن يمزقوا هذة الوحدة الغالية .

هنا حاولوا أن يدمروا ذلك الصف العزيزعلى الله سبحانه وتعالى والذي أعز به رسوله فقال : (وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، إنه عزيز حكيم) «الأنفال : ٦٣» .

هنا اعتبر الله تبارك وتعالى الوحدة إيماناً ، والفرقة كفراً في قوله تبارك وتعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين (ومظهر الإيمان هنا وحدة) ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون .. واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (آل عمران : ١٠١ - ١٠٣) .

انهم لم يكفروا بالله ولا برسوله ولا بالقرآن ولكن اختلفوا وكادوا أن يقتتلوا ، ثم عادوا إلى رشدهم بعد أن خرج إليهم الرسول يذكرهم بآيات ربهم .

هنا نظم النبي عليه الصلاة والسلام اقتصاد المجتمع الجديد : توسيعاً لقاعدته وعدالة بعد هذا التوزيع .

هنا، أي من هذا المسجد وازن النبي عليه الصلاة والسلام بين العمل =

في صحيحه وزاد يعني في مسجد[1] المدينة .

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام . وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة فيما سواه» رواه أحمد وابن ماجه بسندين صحيحين ، وهو كما قالا .

السياسي والعمل العسكري : ثمان وعشرون غزوة . خمس وأربعون سرية . مندوبون يبعثهم النبي ﷺ الى الملوك والحكام من حوله وفود يستقبلهم في المدينة . عمل سياسي مع عمل عسكري ونشاط اقتصادي .

يبنون ويحاربون ويتحاربون ويقاومون الضغوط عليهم . ويهدون الدنيا إلى صراط العزيز الحميد .

١) ويحدثني بعد هذا المنسجد الأقصى .

فأراه أمامي نبيلا أسيراً محترقاً جريحاً . ويخاطبنا فيقول :

أما آن لكم أن تعيدوني إلى أخوي : المسجد الحرام ومسجد المدينة ؟

أما آن لكم أن تفكوا إساري فلا أبقى تحت سيطرة باغية عادية ؟

ألا ترون أعداءكم من حولي يحصدون أبناءكم وحضارتكم ووجودكم ؟

ألا ترون هذه الحروب تمتد على ثلاث جبهات في وقت واحد ؟

جبهة محاربة يقف عليها أبناؤكم ، وجبهة عميقة تشمل بلادكم كلها ، وجبهة تاريخية عمقها ثلاثون قرناً .

إن أعداءكم يحاربون الماضي فيحرقون المسجد الأقصى .

ويحاربون الحاضر فيضربون في العمق ويدمرون المصانع ويحاربون المستقبل فيقتلون أبناءنا في مدرسة بحرالبقر .

إنها حرب الماضي والحاضر والمستقبل .

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن

= وإذا كان المسجد الحرام في البلد الحرام ، فإن المسجد الأقصى هو المحك الصادق لقوة المسلمين ، وقوة العرب وتماسكهم ونضالهم .

ما أكثر ما دار حوله من معارك وما أكثر ما تساقط حوله من شهداء ، وما أكثر ما بذل فيه الباذلون وعمل من أجله العاملون .

إذا ما تحدث المسجد الأقصى فإنما يتحدث عن أرضنا السليبة كلها . يتحدث عن شعب فلسطين ، يتحدث عن الأغصان الخضراء التي قطعتها مناجل الاستعمار الاسرائيلي .

قد يكون هذا بعض ما تحدثنا به مساجدنا الثلاثة في هذه الذكرى النبوية :

المسجد الحرام هو التوحيد والوحدة .

المسجد النبوي هو المجتمع الأول والانطلاق .

المسجد الأقصى هو معركة المصير :

وإننا والحمد لله على الطريق نسير ، نتابع المسيرة متأسين بقول الله تبارك وتعالى :

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ، ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا . ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم ، إن الله كان غفوراً رحيما . ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً . وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً . وأنزل الذين =

الصلاة في بيت المقدس أفضل أو في مسجد رسول الله ﷺ فقال : «صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه . ونعم المصلى ، هو أرض المحشر والمنشر ، وليأتين على الناس زمان ، وكقيد ؟ سوط – أو قال قوس – الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له أو أحب إليه من الدنيا جميعاً» .

خذوا عني مناسككم ! !

قال النبي ﷺ يعلم أمته كيفية عبادة الحج . «خذوا عني مناسككم ، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد عامي هذا ! » رواه البخاري

= ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم –أي من حصونهم– وقذف في قلوبهم الرعب فريقًا تقتلون وتأسرون فريقًا ، وأورثكم أرضهم وديارهم وأرضًا لم تطوءها وكان الله على كل شيء قديرا) . «الأحزاب : ٢١ – ٢٧» .

أدعو الله تبارك وتعالى أن يجمع قلوبنا دائماً على الحق ، وأن يبارك في قواتنا المسلحة الرابضة على خطوط المواجهة حتى تستطيع بجهودها أن تجمعنا في صلاة جامعة في المسجد الأقصى إن شاء الله .

ندعو ربنا أن يبارك في جهد كل عامل في مواقع الإنتاج والخدمات في أمتنا ، وأن يحفظكم ويحفظ الحق بكم . وأن يجمعنا دائماً صفاً واحداً وبنياناً مرصوصاً حتى يحقق الله تبارك وتعالى لنا النصر الذي وعد عباده المتقين . وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

فمن واجب كل مسلم أن يتقيد بأوامره ﷺ ولا يزيد عليها :
«فإن كل محدثه بدعة كما جاء في الحديث الصحيح–وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار!»

قال الله تعالى : (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق) فكل من فعل أمراً موهما أنه مشروع ، وليس كذلك ، فهو غال في دينه ، مبتدع فيه . قائل على الله غير الحق بلسان مقاله ، أو بلسان حاله ، قال رجل للامام مالك ابن أنس : من أين أحرم؟ قال : من حيث أحرم رسول الله ﷺ قال الرجل : فإن أحرمت من أبعد منه؟ قال مالك : لا تفعل ! ، فإني أخاف عليك الفتنة ! قال : وأي فتنة في ازدياد الخير ؟؟ فقال مالك : فإن الله تعالى يقول : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة – أي كفر – أو يصيبهم عذاب أليم) .

أي فتنة أعظم من أن ترى أنك خصصت بفضل لم يخص به رسول الله ﷺ .

(انتهى من «الباعث» لأبي شامة)

مع الرسول في حجة الوداع

= خرج[1] رسول ﷺ الى الحج في السنة العاشرة للهجرة .

٢ = وخرج معه كثير من الرجال والنساء والأطفال[2] وهي حجته الوحيدة .

٣ = وساق الضحايا من المدينة المنورة .

---

١) .. واستيقظت مع الفجر أتأهب للرحلة المباركة . فاغتسلت ، وحلقت وتطيبت . ثم أخذت لباس الاحرام ، ونويت العمرة .. وودعت أهلي وولدي ، وقد طغت على مشاعري أشواق أقوى من حرارة الوداع ... ثم غادرت منزلي في لباسي الابيض غير المخيط ، ونعلي وفي عدتي الخفيفة ، وأنا أشبه ما يكون بالنافر الى الجهاد . وقد انطلقت في أثري الدعوات .. (رسالة لبيك) .

٢) يصح حج الصبي والصبية الصغيرين ولأبويهما الأجر ولهما مثل ذلك . ولا يجزئهما عن حجة الاسلام ، ينوي الطفل اذا قدر ويلبي بعد إحرامه ويرمي الجمرات وإلا فعل ذلك وليه عنه . لحديث ابن عباس قال : رفعت امرأة صبياً الى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ألهذا حج ؟ قال نعم : ولك أجر .

٤ – وأثناء الطريق في مكان يسمى «ذا الحليفة»[١] ولدت امرأة فأرسلت الى رسول الله ﷺ كيف أعمل؟. اغتسلي واستثفري[٢] بثوب وأحرمي.

٥ – فصلى[٣] رسول الله ﷺ في المسجد ولم يبدأ بالتلبية.

---

١) قال النبي ﷺ يحدد ميقات كل قطر «يهل أهل المدينة: من ذي الحليفة ويهل أهل الشام من الجحفة، ويهل أهل نجد: من قرن». قال ابن عمر وذكر لي ولم أسمع: أن رسول الله ﷺ قال: ويهل أهل اليمن من يلملم (رواه البخاري ومسلم) ووقت الرسول ﷺ لأهل العراق: ذات عرق (الحديث رواه النسائي بسند صحيح). وأما من كان مسكنه دون المواقيت كسكان جده وبدر وأشباههما، فليس عليه ان يذهب إلى شيء من المواقيت المقدمه، بل مسكنه هو ميقاته فيحرم منه وذلك لقوله ﷺ «ومن كان دون ذلك، فمهله أهله، حتى أهل مكة يهللون من مكة» رواه البخاري ومسلم.

٢) الاستثفار: أن تضع النفساء أو الحائض ما يساعدها على عدم خروج الدم خارج ثيابها.

٣) إن صلاة النبي هذه لا تدل على أن للمحرم أن يصلي ركعتين سنة الاحرام كما يفعل الكثيرون، فقد صلاها ﷺ قبل أن يحرم، وقد قال الحسن البصري كما ذكره الامام النووي في شرح مسلم: «إن هاتين الركعتين كانتا صلاة الصبح!»

الإحرام[1] والتلبية[2]

١) جاء في كتاب حجة النبي ﷺ (ص ٤٩) في حديث ابن عباس دليل آخر على مشروعية لبس ثياب الاحرام قبل الميقات خلافاً لما يظنه كثير من الناس . وهذا بخلاف نية الاحرام فإنها لا تجوز على الراجح عندنا إلا عند الميقات أو قريباً منه لمن كان في الطائرة وخشي أن يتجاوز به الميقات ولما يحرم . واعلم أنه لا يشرع التلفظ بالنية لا في الاحرام ولا في غيره من العبادات ... وانما النية بالقلب فقط ، والتلفظ بها بدعة .

٢) كان المشركون يقولون في تلبيتهم : «لبيك لا شريك لك . فيقول رسول الله ﷺ «ويلكم ! قد قد» (اي اقتصروا عليه ، ولا تتجاوزوا عنه الى ما بعده) الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك » يقولون هذا ، وهم يطوفون بالبيت . رواه مسلم .

هذا الحديث يفيد أن المشركين كانوا يؤمنون بالله تعالى ، وأنه المالك والرزاق والمحيي والمميت .. قال سبحانه : (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ، وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) العنكبوت : ٦١ .

إلا أن ذلك لم ينفعهم ، لأنهم كانوا يوجهون عبادتهم الى غيره من الملائكة والأنبياء والصالحين كالدعاء والاستغاثة والنذر والذبح والتلبية والحلف .. وكل ذلك من العبادات التي لا تصح إلا لله وحده . ومن وجهها لغيره وقع في الكفر والعياذ بالله !

٦ – ثم اغتسل الرسول ﷺ وتطيب[١] وبعد ذلك أحرم[٢] في إزار ورداء غير مطيبين ولا مخيطين[٣] وفي نعلين[٤] .

---

١) ولا مانع من بقاء رائحة الطيب وآثاره بعد الاحرام لما رواه الامام أحمد بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : كأني أنظر الى وميض الطيب في مفرق النبي ﷺ بعد أيام وهو محرم وسنده صحيح .

٢) يشرع للمحرم أن يقول عند إحرامه: لبيك اللهم بعمرة ، وعندما يحرم بالحج يقول : لبيك اللهم ، وكل ذلك سراً ، فإنه لا يجوز الجهر بالنية ، لأن موضعها القلب . كما يشرع أن يكثر من التلبية عقب كل صلاة ، وكذلك إذا لقي ركباً أو صعد مرتفعاً .

٣) ليس المراد بالمخيط أن يكون في الرداء خياطة عرضاً او طولاً وقد غلط في هذا كثير من العوام بل المخيط المنهي عن لبسه هو ما كان على صورة عضو الإنسان كالقميص والجبة والصدرية (عن حجة النبي باختصار) .

٤) وفي حديث ابن عباس الثابت في الصحيحين ان النبي ﷺ قال : (ومن لم يجد النعلين فليلبس الخفين ومن لم يجد ازارا فليلبس السراويل) وما ورد من قطع الخف فهو منسوخ بخطبة عرفات والنعل كل حذاء لا يسترالكعبين كما يدل عليه الحديث المتقدم ولبس الخفين أصبح ضرورياً بسبب وجود الازدحام . وكم يسبب لبس النعل من مشكلات وأضرار ، وأجاز الإمام أحمد لبس الخفين من قطع الأحذية . والأحذية الحالية لا تستر الكعبين ، فلا مانع من استعمالها .

وتحرم المرأة بثيابها العادية ، إلا أنها لا تنتقب ولا تلبس القفازين =

٧ – لبى الرسول ﷺ بعد الاحرام[1] بقوله : «لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك

ويجوز لها أن تستر وجهها وقتياً بشيء من الجلباب وغيره وقد صح في ذلك أحاديث .

١) يحرم على المحرم الأمور التالية (١) الجماع ، قال بعض الصحابة : ودواعيه كالتقبيل واللمس بشهوة (٢) الفسوق : أي اقتراف المعاصي (٣) الجدال : مخاصمة الرفقاء وغيرهم ودليل ذلك قوله تعالى : (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ، ولا فسوق ، ولا جدال في الحج) وقوله ﷺ : «من حج ولم يرفث ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه رواه البخاري ومسلم» (٤) لبس المخيط للرجل لحديث : «لا يلبس المحرم القميص ، ولا العمامة ، ولا البرنس ، ولا السراويل ، ولا الخفين ، إلا أن لا يجد» رواه البخاري ومسلم . ويجوز لمن لم يجد الإزار او النعلين ان يلبس ما يجد لحديث : اذا لم يجد المسلم إزاراً فليلبس السراويل ، واذا لم يجد النعلين فليلبس الخفين رواه البخاري ومسلم . (٥) النقاب والقفازان للمرأة ، فعن ابن عمر نهى النبي ﷺ النساء في إحرامهن من القفازين والنقاب ، ولبس الورس والزعفران من الثياب (الطيب) الحديث رواه أبو داود وهو حسن ويجوز للمحرمة ستر الوجه الى آخر اذا شاءت فعن عائشة رضي الله عنها كان الركبان يمرون بنا ، ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات ، فاذا جازوا بنا سدلت أحدانا جلبابها على وجهها ، فاذا جاوزوا بنا كشفناه رواه ابو داود وهو حسن . (٦) عقد النكاح لحديث : «لا يُنكح المحرم ولا يُنكح ، ولا يخطب رواه مسلم .» (٧) تقليم الأظافر وازالة الشعر لقوله تعالى : (ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله) فاذا انكسر الظفر فللمحرم =

= ازالته بغير فدية . (٨) التطيب فعن ابن عمر أن عمر رضي الله تعالى عنهما وجد ريح طيب من معاوية ، وهو محرم ، فقال له : «ارجع فاغسله ، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : الحاج الشعث التفل» . (٩) التعرض لصيد البر ، ما عدا صيد البحر لقوله تعالى : (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة . وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً . واتقوا الله الذي اليه تحشرون) . ويجوز للمحرم أن يأكل من لحم الصيد الذي لم يصده هو . أو لم يُصده أحد له لحديث : «صيد البر لكم حلال وأنتم حرم ما لم تصيدوه او يُصد لكم . وعن عبد الرحمن بن عثمان التميمي قال : كنا مع طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ونحن حرم ، فأهدي له طير وطلحة راقد ، فمنا من أكل ، ومنا من تورّع . فلما استيقظ طلحة وافق على أكله ، قال : فأكلناه مع رسول الله ﷺ رواه مسلم (١٠) قطع نبات الحرم لقوله ﷺ «لا يعضد شجرها ، ولا ينفر صيدها» رواه البخاري ومسلم . ويعضد : اي يقطع .

قال شيخ الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى : «وليس في المحظورات ما يفسد الحج الا جنس الرفث ، فلهذا ميّز الله بينه وبين الفسوق . وأما سائر المخظورات كاللباس والطيب ، فإنه وإن كان يأثم بها ، فلا تفسد الحج عند أحد من الأئمة المشهورين» .

ورأى الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى غير ذلك فقال : «وكل من تعمد معصية – أي معصية كانت وهو ذاكر لحجه – منذ يحرم الى ان يتم طوافه بالبيت للافاضة ، ويرمي الجمرة ، فقد بطل حجه» .

واحتج بآية «الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ، ولا جدال في الحج» البقرة : ١٩٦ . فعلى الحاج أن ينتبه :

= وليحذر هذه المعاصي كلها . وفي مقدمة المعاصي التي ينبغي له تجنبها الاستغاثة والذبح ودعاء غير الله تعالى ، فان فعل شيئاً من ذلك بعد العلم فقد وقع في الشرك وحبط عمله والعياذ بالله .

وقد جاء في الحديث الصحيح : «الدعاء هو العبادة !» رواه احمد وغيره وسنده صحيح ، وجاء في حديث آخر : «إذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله !» رواه الترمذي وهو صحيح . وجاء في حديث رواه مسلم : «ملعون من ذبح لغير الله !»

مباحات الاحرام

١ – الاغتسال لغير احتلام ، ودلك الرأس . وقد ثبت ذلك بفعل رسول الله ﷺ في حديث طويل ورد في الصحيحين .

٢ – حك الرأس ، ولو سقط منه بعض الشعر للحديث السابق . وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن المحرم : أيحك جسده ؟ فقالت نعم . فليحكه وليشدد ، ولو ربطت يداي ، ولم أجد إلا رجلي لحككت ! وسنده حسن لشواهده .

٣ – الاحتجام ، ولو بحلق الشعر مكان الحجم لحديث ابن بحينة رضي الله عنه قال :

« احتجم النبي ﷺ وهو محرم في وسط رأسه» لحديث رواه البخاري ومسلم .

٤ – شم الريحان ، وطرح الظفر اذا انكسر . قال ابن عباس رضي الله عنهما : « المحرم يدخل الحمام ، وينزع ضرسه ، ويشم الريحان ، واذا انكسر ظفره طرحه ويقول : (أميطوا عنكم الأذى ، فإن الله عز وجل لا يصنع بأذاكم شيئاً) » ! رواه البيهقي بسند صحيح . =

= ٥ - الاستظلال بالخيمة أو المظلة (الشمسية) وفي السيارة . ورفع سقفها وفي بعض الفرق تشدد وتنطع في الدين ، لم يأذن به رب العالمين . فقد صح أن النبي ﷺ أمر بنصب القبة له بـ « نمرة » ثم نزل بها ! رواه مسلم .

وما ورد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما بالنهي عن ذلك دليل على أنه لم يبلغه الحديث السابق .

٦ - وللحاج أن يشد المنطقة والحزام على إزاره . وله أن يعقده عند الحاجة ، وان يتختم ، وان يلبس ساعة اليد ، ويضع النظارة ، لعدم النهي عن ذلك ، وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن الهيمان للمحرم ؟ فقالت : وما بأس ؟ ليستوثق من نفقته ، وسنده صحيح . وعن عطاء : يتختم - يعني المحرم - ويلبس الهيمان . رواه البخاري تعليقاً . ولا يخفى ان الساعة والنظارة في معنى الخاتم والمنطقة ، مع عدم ورود النهي عنهما . جاء في القرآن الكريم : (وما كان ربك نسياً !) مريم : ٦٤ .

٧ - قتل الحشرات المؤذية ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «خمس من الدواب كلهن فاسق ، يقتلن في الحل والحرم : الحية ، والغراب الأبقع والحدأة ، والعقرب ، والفأرة ، والكلب العقور» رواه البخاري ومسلم . والأبقع الذي فيه سواد وبياض .

٨ - تغطية الرأس من نسيان .

والملك ، لا شريك لك

لبيك اللهم لبيك

١) التلبية ذكر الحاج وورده اليومي الى قبيل رمي جمرة العقبة وهي الترنيمة العذبة التي يرددها بصوت عال .

التلبية باقة نبوية تضمنت ألواناً عدة من المعاني السامية ، والاهداف العالية .

في التلبية من كليات العقيدة الإسلامية ما يشير الى الحكمة من اختيارها للذكرى في موسم الحج .

في التلبية إجابة دعوة الله تعالى لخلقه حين دعاهم الى حج بيته ، على لسان خليله ، والملبي هو المستسلم المنقاد لغيره . والمعنى : أنا مجيبك لدعوتك – يا الله – مستسلم لحكمتك ، مطيع لأمرك مرة بعد مرة ، لا ازال على ذلك « ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى » .

في التلبية نداؤه سبحانه باسم «الله» جلّ جلاله ، وهو الاسم الاول من الاسماء الحسنى التي أمرنا تعالى ان ندعوه بها ، ولا ندعو احداً غيره .

لقد كان العرب على الرغم من شركهم اذا حزّبهم أمر او نزلت بهم شدة ، فزعوا إلى «الله» وحده وهرعوا اليه ونسوا ما كانوا به يشركون . قال تعالى : (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجّاهم الى البر اذا هم يشركون) . تلك كانت حال المشركين اذا انتابتهم الشدة او نزل بهم المكروه نسوا آلهتهم الباطلة وفزعوا الى الله مولاهم الحق .

وانك تشعر بالحسرة تحز في قلبك لو نظرت الى ما عليه جهلة المسلمين في هذه العصور ، فلا يكاد أحدهم يحس شدة تنزل به ، أو مكروه يغشاه =

= حتى يهتف باسم الشيخ او الولي ، معتقدا انه يسرع لإنقاذه او لإسعافه ، فيقع في شرك الجاهلية الاولى (نقلاً عن كتاب الأسماء الحسنى) للاستاذ أبي الوفاء درويش وقد سخر الله سبحانه وتعالى من هؤلاء المشركين بقوله (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) .

في التلبية توحيد الله تعالى ونفي الشرك عنه ، وخصّه وحده بالعبادة والتحرر من عبودية ما سواه ، التحرر من عبودية المادة ، وللمادة على النفوس سلطان تجرفها فتعميها ، والتحرر كذلك من عبودية الطغاة ، فلا يخضع المخلوق إلا للخالق . وما دام المتكفل بالرزق والحياة هو الرزاق واهب الحياة ، فكان من البلاهة أن تستكين الى الخلق أو تخشى بطش المخلوق الذي مهما تجبر وتكبر وطغى وبغى فهو ضعيف تؤلمه لسعة ، وتؤرقه حشرة .

في التلبية حمد الله تعالى . وحمد الله دعاء فيه طمأنينة نفسية .. والحمد وقود روحي يصهر النفس فيزيل ما ران عليها من شوائب اليأس ، ويجدد الطاقات ، ويشحذ الأفئدة بفيض من أمن وأمل ورضا وتفاؤل وراحة ، روحية . نقلاً عن رسالة : «الدعاء في القرآن» تأليف محمد بن الشريف ص ٢٤ باختصار .

في التلبية الاعتراف بنعم الله تعالى التي لا تحصى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها .

والمؤمن مهما يعمل فإنه يستقل عمله في جانب الله ، ويستصغر ما أداه في نظير نعم الله ، ويعتقد أن ما قدم في دنياه من صالح العمل ، ومن ألوان الخير والبر لا تجزي يوم القيامة إلا اذا رضي عنه مالك يوم الدين يوم القيامة . =

= في التلبية الاقرار بالملك لله وحده ، فهو سبحانه الملك المتصرف بملكه كيف يشاء ، يدبر أمر الدنيا والآخرة على مقتضى العلم والحكمة ، فلا يملك التصرف بالغيب في الكون الا الله وحده .

فإذا لقيت انسانا ينسب التصرف بالغيب الى غير مالك الملك ، فاعلم أنه من المشركين الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر. فمن الشرك الظاهر ان يدعو انسان احد الموتى ، وهو يعتقد أنه يسمعه ويستجيب له ، ويدفع عنه الضر ، او يجلب له الخير ، إذ لا يملك ذلك الا الله وحده . (الأسماء الحسنى ص. ٢٤).

قال تعالى : (ذلكم الله ربكم ، له الملك ، والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ، ولا ينبئك مثل خبير) .

في التلبية توكيد لنفي الشريك لله تعالى ، والشرك علاوة على ما فيه من إلحاد وكفر وخلود في النار، فانه في الحياة الدنيا يثير في النفوس المشركة الفوضى والاضطراب والقلق . وقد وصف الله سبحانه وتعالى حال المشركين وما يعانونه من ذعر ورعب في حياتهم في آيات كثيرة (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق) (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره حرجاً كأنما يصّعد في السماء) .

التلبية هي نشيد الإيمان بالله الواحد ، وإجابة لنداء الاله الواحد ويهتف به مئات الألوف من المؤمنين بصوت واحد ، وعلى صعيد واحد ، ليطبع في النفس ويربط في الذاكرة ، هذه المعاني الروحية من أنوار السماء لتضيء على كل ما في الأرض ، وما في النفس .

وهي كلمات تهبط من الملأ الأعلى لتجرد الحجيج كله من المادية =

ولبي الناس معه[1] .

= وطغيانها ، وغرورها ، واستبدادها وتعلنها مساواة تامة ، وأخوة كاملة لإنسانية واحدة ، لا فرق بين حدودها ، وألوانها امام خالقها الواحد ، كلهم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فرق بينهم الا بالتقوى .

وان اختلاف الناس في المعارف والمناصب ، والأعمال ، والقبائل ، والشعوب ، كاختلاف الخلايا المتعددة في الجسم الواحد ، وليس من أسباب النقص ، او الفخر ، او العلو ، إن بعض الخلايا في الوجه ، او الساعد ، او القدم ، فالجميع وحدة كاملة ، وجسم تام ، لا تنحل اجزاؤه ولا تنفك ، ولا تتمايز ، ولا يكون الجسم إلا بها . ولعل هذا مما يشير اليه قول النبي ﷺ : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم ، كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر» .

والانسانية في نظر الاسلام وحدة كاملة ، اجزاؤها وخلاياها الألوان المتعددة ، والاجناس المختلفة ، والقوى المتباينة المندمجة في انسانية واحدة . فهل تجد الانسانية أسمى من هذا المعنى ؟ ! وهل عرفنا ديناً أو مذهباً استطاع أن يدخل هذه المبادىء الى نفوس مئات الملايين ، وان يجعلها نشيداً مفروضاً عليهم ، تبح به حناجرهم ، وتمتلىء به قلوبهم ، وتنطبع به انسانيتهم وتصور – إن لم تكن رأيت – مئات الألوف في ذلك المظهر الواحد ، بلباس واحد يهتفون بهذا النشيد الواحد الذي صاغه الله الواحد للانسانية الواحدة ، لترى الإنسانية الفضلى في أسمى مظاهرها وأرق معانيها (من هدى الاسلام) .

١) وقد جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ كان يقول أيضاً في تلبيته : «لبيك اللهم لبيك ، لبيك وسعديك ، والخير كله بيديك

أتى الرسول ﷺ مكة في الرابع من ذي الحجة ، فدخل

= والرغباء (الطلب والمسألة) اليك والعمل » ولبى الناس وهم يزيدون : «لبيك ذا المعارج ، لبيك ذا الفواضل» فلم يزد رسول الله ﷺ شيئاً منه ، رواه أحمد وأبو داود بسند صحيح ، وهذا يدل على جواز الزيادة على التلبية لاقراره ﷺ لهم عليها ، والاكتفاء بالمأثور أفضل لملازمته له . وقد صح عن أبي هريرة أنه كان من تلبيته ﷺ «لبيك إله الحق» رواه النسائي وغيره .

وقد أنشد بعض الشعراء ملبياً :

إلهنا ما أعدلـــــك	مليك كـل من ملـــك
لبيك قد لبيت لـــك	لبيك إن الحمـد لـــك
والملـك لا شريك لـك	ما خاب عبد سألـــك
أنت له حيث سلـــك	لولاك يا ربي هلـــك
لبيك إن الحمد لـــك	والملك لا شريك لـــك
والليل لمـا أن حلـــك	والسابحـات في الفلـك
على مجاري المنسلـــك	كل نبي أو ملـــك
يا مخطئاً ما أغفلـــك	عجل وبادر أجلـــك
اختم بخير عملـــك	لبيك إن الحمد لـــك
والملك لا شريك لـــك	والحمد والنعمة لـــك

ومن تيّسر له الاغتسال قبل الدخول فليغتسل ويجب على الحاج اذا دخل المسجد ان يقدّم رجله اليمنى ويقول : «اللهم صلّ على محمد وسلّم ، =

المسجد[1] .

طواف القدوم

٨ - ثم مضى يطوف[2] سبعة أشواط حول الكعبة ، أسرع

اللهم افتح لي أبواب رحمتك» او «أعوذ بالله العظيم ، ووجهه الكريم وسلطانه القويم من الشيطان الرجيم» وقد صحت في ذلك أحاديث .

١) وإذا رأى الحاج البيت إذا بلغ الحرم المكي أمسك عن التلبية وقتياً ليتطوع للاشتغال بغيرها اذا دخل المسجد رفع يديه ودعا اذا شاء قائلاً : اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، فحينا بالسلام» وقد صح ذلك عن ابن عمر ، ثم يستمر في التلبية حتى يصل الى الحجر الاسود فيقبله او يستلمه (اي يضع يده عليه ، فان عجز عن ذلك ، يمسه بعصا ، واذا لم يتمكن من مسه بيده او بالعصا ، اكتفى بالاشارة باليد من بعيد دون أن يقبل يده او العصا .

٢) وكان عليه الصلاة والسلام خلال طواف القدوم فقط يدخل الرداء من تحت أبطه الايمن ويرد طرفه على يساره ، ويظهر منكبه الايمن ، ويغطي الايسر ، واذا انتهى من الطواف غطى كتفه . هذا ما يسمى (الاضطباع) . ولم يرد في الطواف دعاء خاص كما يزعم المطوفون . ولكن الافضل ان يكون بذكر الله تعالى والدعاء بما شئت لنفسك واسرتك وللمسلمين ، وقل بين الركن اليماني والحجر الاسود (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) . فإنه من المأثور عن النبي ﷺ .

ويشترط في صحة الطواف ما يشترط في صحة الصلاة من الطهارة من الحدثين الاكبر والأصغر ، ومن النجاسة وستر العورة قال النبي ﷺ :=

في الثلاثة الاولى مع تقارب الخطى ومشى في الأربعة وكان في كل مرة يقبل الحجر[1] الاسود ويكبر ويستلم الركن اليماني «أي يمسه

= «الطواف بالبيت بمنزلة الصلاة ، إلا ان الله أحل فيه النطق ، فمن نطق ، فلا ينطق إلا بخير ، صححه الحاكم ، وإسناد رجاله ثقات . ويرى الفقهاء استثناء المرأة من هذا الاسراع الذي يسمى الرمل . ويكون الطواف تحيةً للمسجد الحرام بدلاً من صلاة ركعتين .

١) صحت التسمية قبل التكبير عن ابن عمر .

وينبغي ان يذكر الحاج هنا قول عمر رضي الله عنه حينما قبل الحجر الاسود «إني أعلم انك لا تضر ولا تنفع ، ولولا اني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبّلتك» فانه أراد بذلك ان التقبيل للاقتداء لا لدفع شر ولا لجلب نفع انما هو مظهر من مظاهر الخضوع لامر رسول الله ﷺ فإنه قال ذلك ليلفت نظر المسلمين إلى أن الأصل في الشريعة الاتباع لا الابداع ! ، وإنه لا يقبل شيء من الجمادات إلا ما صح تقبيله من النبي ﷺ . والخروج عن هذا الاصل يؤدي الى الغلو في الدين ، وذلك ذريعة للوقوع في الشرك ! ولم يصح عن النبي ﷺ تقبيل شيء من الجمادات الا الحجر الأسود فتأمل !

وما أرق ما قاله الأخ الشاعر عمر بهاء الأميري يتحدث عن بعض أسباب تقبيله للحجر الأسود :

الحجر الأسود قبلته بشفتي قلبي ، وكله وله .
لا لاعتقادي أنه نافع ، بل لهيامي بالذي قبله
محمد ! اطهر أنفاسه ، كانت على صفحاته مرسله
قبّله ، والنور من ثغره يشرق : آيات هدى منزله =

دون أن يقبله ، وذلك اذا قدم ، ولا تشرع الاشاره إليه

وله أن يلتزم ما بين الركن والباب ، فيضع صدره ووجهه وذراعيه عليه ، وصح في ذلك حديث

٩ - ثم ذهب الى مقام[1] ابراهيم عليه السلام فقرأ فيه وهو يرفع صوته يسمع الناس «واتخِذوا من مقام ابراهيم مصلى» .

١٠ - فجعل المقام بينه وبين البيت ، فصلى ركعتين ، قرأ في الركعة الاولى (قل يا أيها الكافرون) وفي الثانية (قل هو الله احد) .

= قبلت ، ما قبل ثغره الناطق بالوحي ، ابتغاء الصِله !

وبمناسبة الكلام على تقبيل الحجر الاسود يحسن ان أذكر الحجاج من أن ما يفعله كثير منهم من المزاحمة وايذاء الناس ، لتقبيله ، هو حرام ، فينبغي ان يكتفى عند الزحام بالاشارة اليه مع التكبير . وقد جاء في الحديث ان رسول الله ﷺ قال لعمر : «يا عمر : انك رجل قوي فلا تؤذي الضعيف اذا اردت استلام الحجر ، فانه حلالك ، فاستلمه ، والا فاستقبله وكبّر» رواه الشافعي وأحمد وسنده صحيح كما جاء في مناسك الحج والعمرة .

١) لقد جرت عادة بعضهم التمسح بمقام ابراهيم ومنبر الرسول ﷺ وقبره ، وكل ذلك غير جائز ، وربما أدى الى محاذير في العقيدة . قال الامام ابن تيمية : «زعم احمد أن في التمسح بمنبر الرسول ﷺ روايتين أشهرها مكروه كقول الجمهور. وأما مالك وغيره من العلماء فيكرهون هذه الامور فان أكابر الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم لم يفعلوها .

١١ – ثم ذهب الى زمزم فشرب منها وصب على رأسه [1] .

١٢ – ثم رجع الى الحجر الاسود فاستلمه .[2]

الوقوف على الصفا والمروة

١٣ – ثم خرج رسول الله ﷺ من باب الصفا الى الصفا ، فلما دنا منه قرأ قوله تعالى : (ان الصفا والمروة من شعائر الله) وقال : ابدأ بما بدأ الله به .

---

١) وفي الحديث الصحيح (ماء زمزم لما شُرب له) ويستحب الدعاء بعد الشرب والصب على رأسه منه . ولا بأس ان يحمل الحاج معه من ماء زمزم الى بلده ، لان هذا منقول عن السلف . وفي صحيح مسلم : قال النبي ﷺ في ماء زمزم : «انه طعام طَعمٍ وشفاء سقم» رواه الطيالسي وغيره بإسناد صحيح وعن عائشة رضي الله عنها كانت تحمل ماء زمزم وتخبر أن رسول الله ﷺ كان يحمله . اخرجه الترمذي واسناده حسن . وكان ابن عباس رضي الله عنه إذا شرب من زمزم يقول : «اللهم إني أسألك علماً نافعاً ، ورزقاً واسعاً ، وشفاء من كل داء» .

٢) بمناسبة الطواف حول الكعبة نقول بان الدخول اليها ليس بواجب فعن عائشة رضي الله عنها قالت : ان رسول الله ﷺ خرج من عندها وهو مسرور ثم رجع اليها وهو كئيب ، فقال : اني دخلت الكعبة ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما دخلتها ، إني أخاف أن أكون قد شققت على أمتي . رواه أبو داود وسنده صحيح .

قال ابن عباس : (أمرتم بالطواف حول البيت ، ولم تؤمروا بدخوله .) الحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

١٤ – فبدأ بالصفا ووقف عليه حتى رأى البيت .

١٥ – فاستقبل القبلة ، فوحّد الله وكبره ثلاثا وحمده وقال : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده)[1] .

١٦ – ثم دعا بين ذلك بما تيسر[2] رافعاً يديه ، وقال مثل هذا ثلاث مرات .

١٧ – ثم نزل ماشياً الى المروة فإذا كان ببطن الوادي أسرع حتى إذا شعر بالصعود مشى[3] حتى أتى المروة فصعد اليها وهو ينظر إلى البيت .

١٨ – ففعل على المروة كما فعل على الصفا (من الذكر والدعاء) .

---

١) ومعناه هزمهم بغير قتال من الآدميين والمراد بالاحزاب الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ يوم الخندق .

٢) وقد صح عن بعض السلف ان دعا في السعي بقوله : «ربِّ اغفر وارحم ، انك أنت الأعز الأكرم» .

٣) الاسراع يكون بين العلم الاول والعلم الثاني ، والمشي بين الثاني ومروة .

الامر بفسخ الحج الى العمرة والتحلل

١٩ – حتى اذا كان السابع[١] على المروة (أي الشوط السابع) قال للناس : «لو استقبلت من امري ما استدبرت لم أسق الهدي (الضحية) ، وجعلتها عمرة ، فمن كان منكم ليس معه هدي فليحلّ وليجعلها عمرة» ،

فقام سراقة بن مالك ، فقال : يا رسول الله أرأيت عمرتنا هذه لعامنا هذا أم لأبد الأبد ؟

فشبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة في أخرى وقال : «دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة لا بل لأبد أبد»[٢] (ثلاث مرات) . =

١) الانتقال من الصفا الى المروة يعتبر شوطاً وحدا من الاشواط السبع . وكذلك الرجوع من المروة إلى الصفا يعتبر شوطاً ثانياً وهكذا .

٢) لقد فهم كثير من العلماء من هذا الحديث أن حج القران (اي الحج والعمرة معا) وحج الافراد منسوخان لا يعمل بهما . ولعل حكمة ذلك توحيد المسلمين في نظام حجهم ، ورفع الحرج عنهم تخلصاً من بقائهم محرمين أياما طويلة إلى ما بعد رمي الجمرة الاولى . واذا قيل كيف يفعل من لا يملك ثمن الهدي . قال تعالى في جواب ذلك : (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة) (البقرة – ١٩٦) .

وجاء في الحديث : «يا آل محمد ! من حج منكم فليهلل بعمرة في حجة»[1] .

---

١) رواه البخاري ومسلم .

لقد روى عنه ﷺ الأمر بفسخ الحج إلى العمرة أربعة عشر من أصحابه في أحاديث صحيحة . ذكرها الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه «زاد المعاد» (١ : ٢٨٢–٢٨٦) وذكر أنه قول ابن عباس وابن عمر وكانا يقولان بنسخ ما عداه الا لمن ساق الهدي معه ومذهب أحمد ؛ وأهل الحديث ، وقد رد ابن القيم على شبهات المخالفين فليراجعه من شاء (١ : ٢٨٦–٣٠٣) .

ومن أهم أدلة القائلين بوجوب فسخ الحج الى العمرة ما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ لا نذكر إلا بالحج ، فذكرت الحديث ، وفيه : فلما قدمتُ مكة قال النبي ﷺ لأصحابه : «اجعلوها عمرة» فأحلّ الناس إلا من كان معه الهدي ، وذكرت باقي الحديث . وفي لفظ للبخاري : خرجنا مع رسول الله ﷺ ولا نرى إلا الحج ، فلما قدمنا تطوفنا بالبيت – ويدخل في ذلك السعي – فأمر النبي ﷺ من لم يكن ساق الهدي أن يحل ، فحلّ من لم يكن ساق الهدي ، ونساؤه لم يسقْن ، فأحللن وفي لفظ لمسلم دخل عليّ – أي على عائشة – رسول الله ﷺ ،وهو غضبان ، فقلت :من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار ! قال : «أوما شعرت اني أمرت الناس بأمر فإذا هم يترددون ! ! ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي معي حتى اشتريه ثم أحل كما حلوا» .

ويصح للحاج فسخ حجه سواء نوى القران ، أو الافراد بالعمرة ، =

٢٠ - ثم أمر النبي ﷺ الناس بعد الطواف والسعي ان يتحللوا[1] فحل الناس كلهم - أي من لم يسق الهدى - وقصروا الا النبي ﷺ ومن كان معه هدي ، فلم يحلوا .

التوجه محرمين الى منى يوم الثامن

٢١ - فلما كان يوم التروية (الثامن من ذي الحجة) توجه عليه الصلاة والسلام الى منى[2] وأهلّ المسلمون الذين لم يسوقوا

= ولا يشترط أن يكون ذلك من الميقات ، بشرط أن لا يكون قد ساق معه الهدي ، فإن ساقه من المدينة او غيرها وجب عليه الاستمرار على القران (الحج والعمرة معاً) ويبقى محرماً حتى يرمي جمرة العقبة .

وفي حج التمتع رفع الحرج عن الحاج بسبب الإحرام ونجاة من البلبلة بسبب الاقسام ، وتوحيد للحجاج في نسق واحد (راجع رسالتي نداء الى العلماء ...)

١) الحل كله من نزع ثياب الإحرام وتقصير الشعر واستعمال الطيب وإتيان النساء .

٢) فيصلي فيها الظهر ، ويبيت فيها حتى يصلي سائر الصلوات الخمس قصراً دون جمع .

الهدي بالحج (أي نووا الحج) وأحرموا[1] .

٢٢ – ثم دخل النبي على عائشة ، فوجدها تبكي فقال : ما شأنك؟ قالت شأني أني قد حضت . فقال : ان هذا أمر كتبه الله على بنات آدم فاغتسلي ثم أهلي بالحج[2] ثم حجي[3]،

---

١) يحرم الحاج بالحج كما يفعل عند احرامه من الميقات ، وذلك من مسكنه في مكة بعد الاغتسال ..

٢) أي قولي لبيك اللهم بحج .

٣) جاء في رسالة حجة النبي ﷺ في هذا الحديث دليل جواز قراءة الحائض للقرآن لانها بلا ريب من أفضل أعمال الحج : وقد أباح لها أعمال الحج كلها سوى الطواف والصلاة . ولو كان يحرم عليها التلاوة لنهاها عنها كما نهاها عن الطواف . ولا صحة لحديث (لا يقرأ القرآن جنب ولا حائض) . قال الامام احمد فيه : باطل اهـ باختصار .

وقوله تعالى : (ولا يمسه إلا المطهرون) انه اللوح المحفوظ . فالمطهرون عنده : الملائكة . وهذا قول ابن عباس وغيره . ومن هذا التفسير نفهم منه معنى حديث رسول الله ﷺ : «لا يمس القرآن إلا طاهر» . وقد جاء في حديث في الصحيحين : «المؤمن لا ينجس» ، وجاء في حديث رواه مسلم : «كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه» .

ويجدر بنا أن نذكر بهذه المناسبة جواز دخول الحائض المسجد وقد قال أبو هريرة رضي الله عنه : بينما رسول الله ﷺ في المسجد ، فقال يا عائشة : ناوليني الثوب . فقالت اني حائض ، فقال إن حيضتك ليست في يدك ، فناولته: رواه مسلم . وكم يكون هناك من حرج شديد على الحائض =

واصنعي ما يصنع الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت ولا تصلي – وفي رواية ولا بين الصفا والمروة – ولا تصلي . ففعلت .

٢٣ – وصلى رسول الله ﷺ بالمسلمين ،في منى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر .

٢٤ – ثم قليلا حتى طلعت الشمس .[١]

= أن تجلس خارج الحرم المكي والحرم المدني وذووها داخله يطوفون ويسعون ويصلون الساعات الطوال .

١) وفيه دليل على لزوم البيات في منى ، قبل الذهاب الى عرفات وان يخرج الحاج منها حتى تطلع الشمس ولكن اكثر الحجاج لا يفعلون هذا الآن – ويا للأسف – مما يخشى منه بطلان حجهم بقوله ﷺ : « خذوا عني مناسككم ! » وهو أمر متفق عليه عند المذاهب الاربعة .

ويزعم بعضهم انه كان للذهاب الى منى في اليوم الثامن ضرورة قديما ، يوم لم تكن المواصلات إلا بالإ بل أو المشي على الاقدام ، فيشق على الحجاج الذهاب الى عرفة رأسا ، فيستريحون ليلة في منى ثم يواصلون سيرهم إلى عرفات في اليوم التاسع كما يزعمون أيضا أن في الذهاب الى منى مشقة في نقل ونصب مئات الخيم . فأجيب أن من حكم هذا التنقل الى منى فوائد عسكرية منها تدريب الحجاج على تحركات الجيش السريعة وحبذا لو يشتركون في نصب الخيم مع عمال مكة الفقراء الذين يستفيدون فوائد مالية من هذا الذهاب .

وعلى الحجاج إذا رفض مطوفهم نقلهم الى منى في اليوم الثامن في السيارة ، أن يرفعوا شكواهم إلى رئاسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الساهرة على نصرة الحق ، وهي سرعان ما تحقق رغبتهم .

التوجه الى عرفات والنزول بنمرة

٢٥ – فانطلق الى عرفة ، وهو يلبي او يكبر
سارالنبي ﷺ حتى نزل بنمرة[١] فخطب الناس[٢] في عُرنة[٣]
٢٦ – ثم أذن بلال بنداء واحد .

---

١) نمرة : هو مكان قريب من عرفات ، وليس منها .

٢) يشرع للامام أو نائبه أن يخطب الناس خطبة تناسب الحال . وما أكثر فائدة الخطب في الحج لتوجيه الحجيج وتثقيفه حتى يدري كيفية الحج وغاياته الدينية والسياسية والاقتصادية والتاريخية وغيرها .

لخص الرسول ﷺ في هذه الخطبة التي نراها بعد قليل موجز الدستور الاسلامي ، والرسالة الاسلامية . وإن دلت هذه الخطبة على شيء ، فإنما تدل على أن للحج أهدافاً أخرى غير هذه المناسك ، وهو ما قلناه سابقاً في مقدمة هذه الرسالة . وقد كان الخلفاء الأولون في خير القرون يتقدمون الناس في شهور موسم الحج ، ويأمرون أمراءهم في الولايات بالحضور من أجل توجيههم ، ومحاسبتهم ، وسماع شكاوي المسلمين عليهم .

٣) وهي قبل عرفات ، ويتعذر النزول فيها الآن على الغالب تشوه الاجسام فلا حرج في ذلك .

مقتطفات من خطبة الرسول الجامعة

أيها الناس ! اسمعوا قولي ، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً ! =

= أيها الناس ! إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا . ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي هاتين موضوع (أي هدر) ودماء الجاهلية موضوعة ! وإن أول دم أضع من دمائنا : دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب كان مسترضعاً في بني سعد ، فقتلته .

ورِبا الجاهلية موضوع ! وأول ربا أضع ربانا : ربا العباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله ! ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون . قضى الله أنه لا ربا !

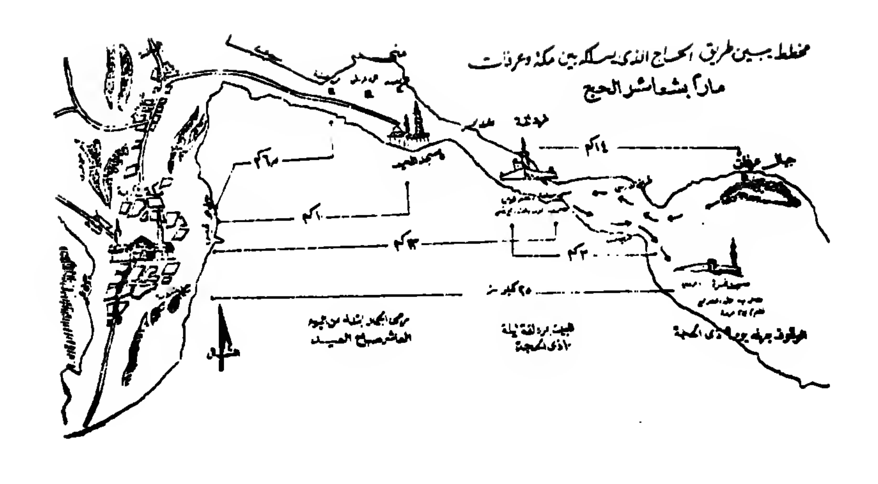
وإنكم ستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها .

أيها الناس ! إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يطع فيما يطع سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم . فاحذروه على أنفسكم !

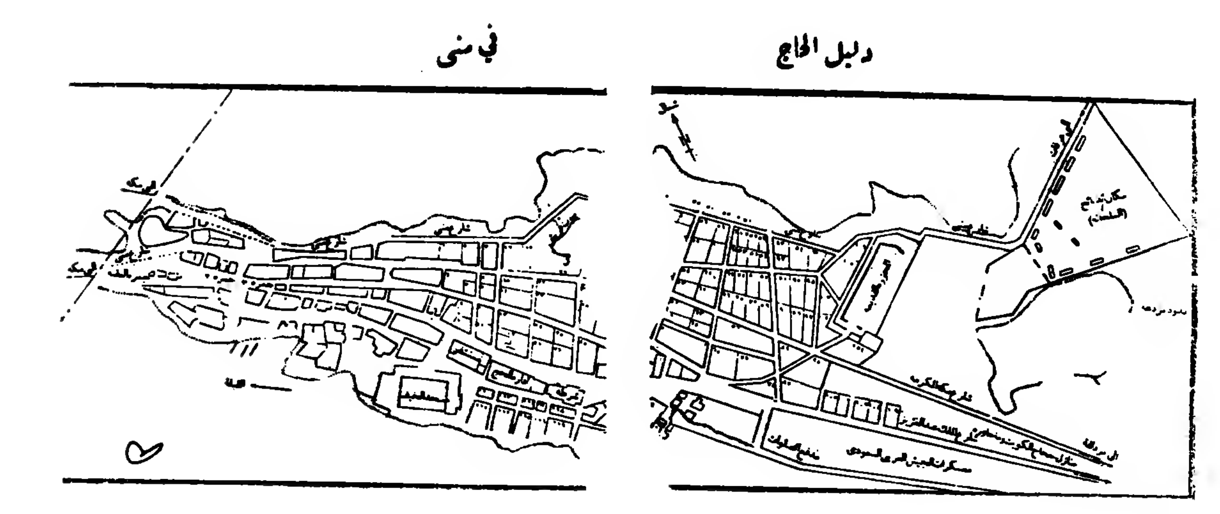
أيها الناس ! إن لكم على نسائكم حقًا ولهن عليكم حقًا. لكم عليهن ألاّ يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه ، وعليهن الا يأتين بفاحشة مبينة... ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. واستوصوا بالنساء خيرًا...

فاعقلوا أيها الناس قولي ! فإني قد بلغت . وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً أمراً بيّنا : كتاب الله وسنة رسوله !

ثم قال للناس : وأنتم تسألون عني ، فما أنتم قائلون؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ، وأديت ، ونصحت لأمتك ، وقضيت الذي عليك . فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ، وينكثها إلى الناس : اللهم اشهد . اللهم اشهد .=



يقضي الحجاج عدة أيام في منى ، وقد يضيع الكثيرون منهم فيتعرضون للاخطار وخاصة في المواسم الحارة لذا رأينا نشر هذا المخطط الذي نظمه المسؤولون عن الحج جزاهم الله تعالى خيراً فما على الحاج الا أن يعرف رقم قطعة مطوفه حتى يهتدي اليه بسرعة .



أيها الناس ! اسمعوا قولي واعقلوه : تعلمون أن كل مسلم أخ للمسلم . وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم !

اللهم هل بلغت ! أجاب الناس : نعم فقال : اللهم فاشهد !

١) في هذا الموقف تتجلى روعة الحج وحكمته ، هذا المؤتمر الاسلامي العظيم الذي يهرع اليه المسلمون من جميع أقطار الأرض (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات) .

ولكن أي منافع تلك التي شهدناها في هذا الجامع ؟ وأي ثمرات جنيناها من ذلك المؤتمر الخطير ، الذي لا تتهيأ أسبابه المادية والروحية إلا يوم عرفة .

وأخذتني سنة من النوم وأنا جالس في المخيم الذي أعده الفندق لنزلائه أتفيأ الظل واقرأ في الكتاب .. واذ بي أشهد جبل الرحمة وقد أقيمت عليه مظلة كبيرة ، تخفق فوقها عشرات الاعلام ، وقد جلس تحتها نفر من الناس في لباس الاحرام ، على منصة ذات أسوار. وإذا رجل يقف أمام جهاز للاذاعة يهتف : الله أكبر .. ولله الحمد . ثم ينطلق في حديث تردده أجهزة للاذاعة أقيمت بين الخيام ..

إنه يتحدث عن هذا الموقف العظيم ، ويرجو أن يكون شهوده جديرين بأن يباهي الله بهم ملائكته في السماء .

ثم يتلو هو على الناس ما اتخذه مؤتمر الحجيج في الموسم السابق من قرارات وما قامت به الدول الاسلامية لتنفيذ هذه القرارات من جهود .. وهو يستعرض بعد ذلك قضايا العالم الاسلامي وعلاقاته بغيره من الدول في احاطة وإيجاز . =

= وينتحي عن مكانه بعد أن يقدم للحديث أولئك النفر الذين يجلسون حوله واحداً بعد الآخر . إنهم طائفة من أعلام العالم الاسلامي ، وفدوا إلى هذه الأرض لأداء فريضة الحج . واتخذوا من موقفهم العظيم يوم عرفة مؤتمراً يتحدثون فيه إلى مئات الألوف من الحجيج وإلى ملايين المسلمين في مختلف بقاع الارض . كل عن شأن من الشؤون التي تحقق التعاون والوحدة في الوسائل والغايات .

ثم عاد مقرر المؤتمر الى المذياع يقول :

والآن ، أيها الاخوة نختتم هذه الجلسة الاولى للمؤتمر وموعدنا معكم أيام التشريق في منى حيث تجتمع اللجان المختصة لدراسة ما لديها من مشروعات ، وما يقدمونه اليها من مقترحات ثم تعرض تقاريرها على المجلس الاعلى للمؤتمر فيحولها الى توصيات تأخذ طريقها الى الدول الأعضاء لتدخل في مراحل التنفيذ .

الله أكبر .. ولله الحمد ..

وأقمت من غفوتي على ضجة في المخيم ، وتلفت فإذا الخدم يحملون أكواب الشراب المثلج ، والناس يتصايحون ليطفئوا ظمأهم الشديد . ثم هدأت الضجة ، ولم يزل أثر هذا الحلم الجميل يداعب أجفاني ويراودني على الإغفاء من جديد .

وسألت نفسي : أين نحن في موقفنا هذا من تلك الصورة التي طافت بي في المنام ، وأين تلك المنافع التي جئنا لنشهدها في هذا الموقف العظيم ؟ !

إن جبل عرفة لا يزال ماثلا أمامي يغطي جوانبه وقمته آلاف الحجاج تصهرهم أشعة الشمس المحرقة ويومضهم حرها الشديد ، ولا تطوف بخواطرهم الا معان غامضة ساذجة ، ليس بينها وبين تلك المعاني المشرقة =

= الرشيدة التي يمثلها أولئك النفر الذين تخيلتهم في منامي ، الا ما بين الحقائق والاحلام !

وإن هؤلاء النفر من الصفوة المفكرة المجاهدة في الأمة الاسلامية والذين تخيلتهم في موقفهم ذاك على جبل عرفة يتحدثون فتهتز لحديثهم جنبات الوادي ، وتتجاوب مع كلماتهم قلوب الملايين من مسلمي الارض وتنخلع أفئدة زبانية الاستعمار وقراصنة الشعوب !

ها هم أولاء بذواتهم يؤدون فريضة الحج ، ويقفون في عرفة . ولكن وقوفهم هذا أبعد ما يكون عن وقوفهم ذاك بعد الأرض عن السماء ، إنهم هنا لا يؤدون تلك الامانة العظمى ، فيتحدثون إلى مئات الالوف ومن ورائهم مئات الملايين ، ومن ورائهم دول العالم ترهف السمع والقلب – حديث التوجيه والالهام والبعث والبناء ، ولكنهم يقفون كغيرهم من عامة الناس ممن لا يحملون أمانة ، ولا يضطلعون بمسؤولية ، وإذا تحدث أحدهم لا يتجاوز حديثه بضعة أفراد ، ولا يتخطى أبواب الخيمة الى آذان سامعيه .

أين هي اذن تلك المنافع التي جئنا لنشهدها في هذا الموقف الجامع العظيم؟ ان منفعة واحدة هي التي أزعم أنني أفدتها يوم وقوفي بعرفة ويزعم الكثيرون ..

انها الشعور بهذا النقص الخطير* في تمثل حكمة الحج ، والمسؤولية الكبرى في إهدار هذه الفرصة التي لا تتاح للمسلمين الا مرة كل عام .

(رسالة لبيك) .

٢٧ - ثم أقام فصلى رسول الله ﷺ الظهر ، ثم أقام فصلى العصر فجمع بينهما جمع تقديم .

٢٨ - ثم ركب عليه الصلاة والسلام ناقته حتى أتى الموقف في (أسفل جبل الرحمة)[1] واستقبل القبلة يدعو رافعاً يديه ويقول :

---

١) لا ينبغي للحاج ان يصعد جبل الرحمة ، فإن في ذهابه اليه أخطاراً جسيمة ، كثيراً ما تؤدي الى الهلاك بسبب الضياع وضربة الشمس ويكفيه قوله ﷺ «وقفت هنا وعرفة كلها موقف» ويمكننا أن نستنتج من هذا الحديث ومثله حديث (ومنى كلها منحر) . ان الرسول ﷺ أشار فيه إلى أنه لا يريد أن يتبع في مثل هذه الامور الاتفاقية التي لا يقصد بها السنة ، فقد فعل ذلك بمجرد الاتفاق . فإن تقليده في مثل هذه الاحوال يؤدي الى الحرج والى محاذير أخرى ! . وما أعظم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد ثبت بالاسناد الصحيح أنه كان في سفر فرأى المسلمين يتنابون مكانا يصلون فيه فقال : «ما هذا؟ قالوا : مكان صلى فيه رسول الله ﷺ فقال :

أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد ! ؟ إنما هلك من كان قبلكم بهذا . من أدركته فيه الصلاة فليصلِّ فيه ، وإلا فليمض ! »

« لبيك اللهم لبيك .. » وقال : وقفت هنا ، وعرفة كلها موقف[1] حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلا .

٢٩ – فلم يزل واقفاً حتى غاب القرص .

٣٠ – ثم نزل رسول الله ﷺ من عرفات ، وعليه السكينة ،

---

*) لا شك أن المسؤولين عن تنظيم موسم الحج ، ساهرون وجادون للسعي من أجل تحقيق أهداف الحج ، وقد أنشؤوا لذلك « رابطة العالم الاسلامي » ولها مجلتها ، إنما ينبغي للمسؤولين الآخرين في العالم الاسلامي التعاون معهم لتحقيق جميع الآمال .

١) من السنة التلبية في موقف عرفة والإكثار من الدعاء . قال رسول الله ﷺ « خير الدعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له » ويجب على الحاج أن يشغل وقته في عرفة بمناجاة الله سبحانه والاستغفار بما شاء . رواه مالك عن طلحة بن عبيد الله وسنده حسن .

ومما يؤسف له أن بعضهم فهم من هذا الحديث ترك الدعاء يوم عرفة ، والاكتفاء بذكر : لا إله إلا الله وحده لا شريك له » . وليس هذا معناه ، فإن فيه أمراً بالدعاء ، كما أمر بالذكر . وقد ترك الرسول ﷺ للحاج الحرية باختيار الدعاء الذي يختاره من الأدعية المأثورة وغيرها .

والقائلون بترك الدعاء والاقتصار على الذكر ، استدلوا بحديث : « من شغله ثنائي عن مسألتي – أي عن دعائي – أعطيته أفضل ما أعطي السائلين » وفي رواية : « من شغله القرآن من مسألتي أعطيته .. » هذا حديث ضعيف جداً ، وقد حسنه الترمذي فلم يحسن كما قال الذهبي .

قال النبي ﷺ « إن الدعاء هو العبادة » ثم قرأ (ادعوني استجب لكم . =

ويقول وقد أشار بباطن كفه الى السماء : أيها الناس السكينة[1] فإن البر ليس بالابضاع – أي الاسراع – .

الجمع بين الصلاتين في المزدلفة والبيات بها

٣١ – حتى إذا أتى المزدلفة (ليلة العيد) فصلى بها ، فجمع بين المغرب والعشاء جمع تأخير بأذان واحد واقامتين .

= إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي – أي عن دعائي – سيدخلون جهنم داخرين » (غافر : ٦٠) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح وهو كما قال . وفي الآية السابقة إنذار لمن يترك دعاء الله وحده . وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

الله يغضب إن تركت سؤاله وبَني آدم حين يسأل يغضب !

١) أي الرفق والهدوء والطمأنينة ، منعاً لمزاحمة الناس التي تسبب كثيراً من الأضرار .

وقد هيأ المسؤولون عن الحج جميع الأسباب لتسهيل الزحف المدهش ، وقد كتب أحد الأدباء يصف منظر هذه الافاضة والتنظيم العجيب فقال :

أيام التشريق

ثم أفاض الحجيج من عرفات ..

مئات الألوف تنساب بهم الأباطح والأودية في طريقهم إلى مزدلفة . وكأنهم جيش لجب تنطلق فيالقه الراكبة والراجلة هادرة في أحشاء الظلام ..

وإن تعجب فعجب ذلك النظام المحكم ، وتلك الحركة الواعية التي يسيطر عليها رجال الشرطة وجنود المرور ..=

= إن آلاف السيارات الكبيرة والصغيرة تنطلق موكبها في هذا الطريق تحمل الحجاج والمتاع وقد سالت على جوانبها أمواج البشر ، فلا يضطرب لهذه المواكب المتدفقة نظام ، ولا تكاد تزل في غمارها قدم ، أو يصاب انسان .

ونزلنا مزدلفة حيث المشعر الحرام ، وقد غمرنا شعور طاغ بالغبطة والطمأنينة والسلام ، ألسنا نستقبل منذ الليلة عيداً تولد فيه أرواحنا من جديد ؟

لقد انطوت في عرفات صفحات الماضي القريب والبعيد ، وامحت منها تلك السطور القاتمة والظلال السوداء .

ان الله كتب على نفسه – وهو يباهي ملائكته بأولئك المهاجرين اليه . اللائذين بحماه ، الواقفين بين يديه في تجرد وتوبة وضراعة – ألا يردهم بعد موقفهم هذا إلا وقد امحت ذنوبهم وخطاياهم ، وأشرقت صحائفهم بيضاء من غير سوء .

يا للفرحة الطاغية ، ويا للاشفاق الرهيب .

الفرحة بما أصبنا من فضل ورحمة ، والاشفاق مما يفرضه علينا هذا الفضل وتلك الرحمة ، من تكاليف وأعباء .

أي مستوى هذا الذي رفعتنا اليه رحمة الله فاذا نحن أطهار كالملائكة . وأي جهد وعزم وصبر وإيمان ، نستطيع أن نمسك به مقامنا هذا بين الملائكة في السماء . ونغالب به نوازع البشرية فلا تهوي بنا ثانية في مهاوي الفتنة ومزالق الشرور !

وانطلق صوت المؤذن يشق ظلام الليل ويطارد فلوله الهاربة :

– الله أكبر ... الله أكبر ...

٣٢ – ثم اضطجع[١] النبي ﷺ حتى طلع الفجر فصلى حين تبين له الفجر بأذان وإقامة .

الوقوف على المشعر الحرام[٢]

٣٣ – ثم ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام (وهو جبل في المزدلفة) فيرقى عليه .

---

١) ويجوز للضعفة من النساء والصبيان وغيرهم أن يدفعوا الى منى آخر الليل دون البيات في المزدلفة ، لحديث عائشة وأم سلمة وغيرهما ولا شك أن أولياءهن من الرجال يذهبون معهن الى منى ولا يبيتون كيلا يرحل النساء وحدهن . أما غير النساء والاطفال فواجب عليهن المبيت ، جاء في الروضة الندية : قال النحاس إن كثيراً من الحجاج لا يقف بالمزدلفة وان وقف فلا يبيت ! وهذه بدعة يجب على الامير ومن قدر أن يمنع منها . لأن من ترك المبيت بالمزدلفة وجب عليه إراقة دم في الاظهر ! وذهب ابن خزيمة وجماعة من العلماء الى ان المبيت بها ركن ! ! فعلى هذا اذا تركه فسد حجه ولا يجبر بدم ولا غيره . وشرط المبيت أن يكون في ساعة من النصف الثاني من الليل ، فلو رحل قبله لم يسقط عنه الدم ، ولو عاد اليها قبل الفجر سقط انتهى .

ولهذا كله أدعو إخواننا الحجاج اذا رفض مطوفهم بياتهم في المزدلفة أن يشكوه إلى المسؤولين ، فيجبرونه على هذا البيات . واذا اضطروا نزلوا من العابرة وباتوا بأنفسهم وعند الفجر يذهبون الى منى مشاة او ركباناً . على أن يعرفوا مكان مطوفهم فيها كيلا يضيعوا .

٢) برزخ بين منى والمزدلفة .

٣٤ – واستقبل القبلة فدعا ، فحمد الله وكبره وهلّله ووحده .

٣٥ – فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً .

٣٦ – وقال : وقفت هنا والمزدلفة كلها موقف !

رمي الجمرة الكبرى

٣٧ – سار من المزدلفة قبل أن تطلع الشمس حتى أتى الى بطن محسر[١] وعليه السكينة .

٣٨ – ثم سلك الطريق الوسطى[٢] التي تخرجك الى الجمرة الكبرى[٣] في منى .

٣٩ – فرماها ضحوة (أي بعد طلوع الشمس)[٤] ، بسبع

---

١) هو جبل معروف وينبغي الاسراع فيه قليلاً اذا تيسّر .

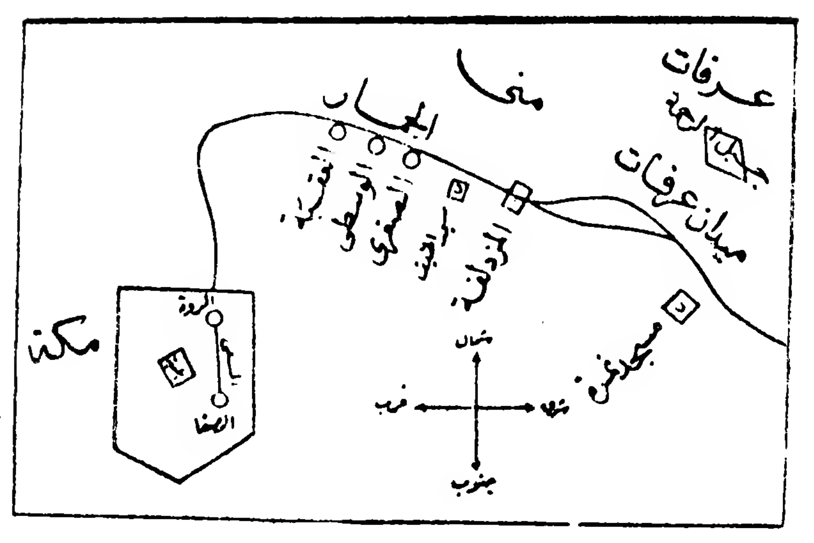
٢) وهو غير الطريق الذي ذهب منه الى عرفات وتغيير الطريق سنة وقد أردف رسول الله ﷺ على ناقته الفضل بن عباس فرآه ينظر الى النساء . فحوّل وجهه وقد ورد في غض النظر آيات وأحاديث في غير الحج . وفي الحج آكد .

٣) ويسميها الجهلة بالشيطان الكبير . وتسمى أيضاً جمرة العقبة .

٤) لا يجوز الرمي قبل طلوع الشمس ولو من الضعفة والنساء الذين رخص لهم ان يرتحلوا من المزدلفة بعد منتصف الليل . ويجوز تأخير الرمي من الضحوة الى الليل لحديث ابن عباس فقد سأل رجل رسول الله ﷺ رميت بعدما أمسيت ! قال لا حرج رواه البخاري وغيره وهذا يقع على =

حصيات[1] ويكبر مع كل حصاة منها .

٤٠ – وقطع رسول الله ﷺ التلبية عند رمي الجمرة



= الليل والعشي معا . وعن نافع أن ابنة لصفية بنت أبي عبيد – امرأة عبد الله ابن عمر – نفست بالمزدلفة «فتخلّفت هي وصفية ، حتى أتتا منى ، بعد أن غربت الشمس من يوم النحر ، فأمرهما ابن عمر ، أن ترميا حين قدمتا منى ، ولم ير عليها شيئًا» أخرجه الموطأ ، وإسناده صحيح كما قال محقق جامع الأصول . ولينتبه الحجاج الى هذه الرخصة المفيدة والهامة وهي السماح بالرمي في يوم النحر ويجوز الرمي ليلاً في الايام الأخرى كما أفتى العلماء أخيراً قياساً على اليوم الأول .

١) إن ما يفعله بعض العامة من لقط حصى الجمار حين الوصول الى

الكبرى[1] وما بعدها .

٤١ – ثم انصرف الى المنحر (في منى)[2] فنحر بيده

مزدلفة قبل الصلاة غلط ، والنبي ﷺ لم يلتقط له الحصى إلا بعد انصرافه من المشعر الحرام الى منى ومن أي موضع لقط الحاج الحصى أجزأه . ولكل يوم يلتقط حصاه . والحصاة أكبر من الحمصة قليلا فإن كانت أكبر قليلا أو أصغر أجزأه وتلقى على دفعات ولا يصح إلقاؤها دفعة واحدة .

١) جاء في كتاب «حجة النبي» ﷺ : أن المحرم إذا رمى جمرة العقبة حلّ له كل شيء إلا النساء ولو لم يحلق ، لحديث عائشة رضي الله عنها : «طيبت رسول الله بيدي بذريرة لحجة الوداع للحل والاحرام ، حين أحرم وحين رمى جمرة العقبة يوم النحر ، قبل أن يطوف بالبيت» رواه احمد بسند صحيح على شرط الشيخين وأصله عندهما . وبهذا قال عطاء ومالك وأبو ثور وأبو يوسف وهو رواية عن أحمد . قال ابن قدامة في «المغني» (٣/٤٣٩) «وهو الصحيح إن شاء الله تعالى» واليه ذهب ابن حزم .

ويستحب أن يستقبل القبلة حين الذبح وفي ذلك أحاديث صحيحة ، ويقول عند الذبح : «بسم الله والله أكبر ، اللهم إنّ هذا منك واليك : اللهم – تقبل مني» رواه مسلم .

٢) ويصح النحر في مكة لقوله عليه الصلاة والسلام : كل فجاج مكة طريق ومنحر ، وفي ذلك رخصة للحجاج كيلا يندفعوا جميعاً للذبح في منى مما يسبب تراكم اللحوم وفسادها وقلة من يأخذها . ومن لم يجد ثمن الهدي ، فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج ، كأيام التشريق وسبعة اذا حج الى أهله .

عددًا[1] واعطى علياً رضي الله عنه فنحر ما بقي .

وحلق رسول الله ﷺ شعر رأسه ، وحلق كثيرون من الصحابة ، وقصر بعضهم . وقد دعا ﷺ : للمحلقين ثلاثاً وللمقصرين مرة[2] .

= وتحسن الاشارة بهذه المناسبة الى وجوب اختيار الحاج هديه من خيرة الماشية ، وأن يذبحها بنفسه أو يشرف على ذبحها ثم تقسيمها إلى قطع وتوزيعها بعد ذلك فإنه لا شك سيجد من يسارع لأخذها بخلاف ذبحها وتركها بدون سلخ ، كما تحسن الإشارة إلى التنبيه أن وقت الذبح يمتد إلى قبيل غروب اليوم الثالث من أيام التشريق فتكون مدة الذبح يوم النحر وثلاثة أيام بعده .

جاء في الحديث : « كل أيام التشريق ذبح » رواه احمد وصححه ابن حبان ، وهو قوي كما قال مصنف «مناسك الحج والعمرة» .

١) ونحر رسول الله ﷺ عن نسائه بقرة . وتنحر البقرة الواحدة او البعير الواحد عن سبعة أشخاص . ويسن الأكل من الذبيحة ويجوز الإدخار منها لحديث جابر قال : كنا نأكل من البدن إلى ثلاثة أيام منى ، فأرخص لنا الرسول ﷺ قال : كلوا وتزودوا ، فأكلنا وتزودنا ، رواه أحمد والبخاري حتى بلغنا المدينة . رواه أحمد بسند جيد .

٢) والسنة أن يبدأ الحالق بيمين المحلوق كما في حديث رواه مسلم والمرأة تقصر من شعرها قدر أنملة تقريباً وهي الأيام الثلاثة بعد النحر ، جاء في رسالة حجة النبي ﷺ ويستحب أن يقف عقب رمي الاولى عندها مستقبلاً القبلة زمناً طويلاً يدعو ويذكر الله ، ويقف كذلك عند الثانية ، ولا يقف عند الثالثة ، ثبت معنى ذلك في صحيح البخاري . ويستحب هذا =

٤٢ – ويشرع أن يقول الحاج عند الذبح : بسم الله والله اكبر ، اللهم هذا منك واليك .. اللهم تقبل .

٤٣ – وخطب النبي ﷺ يوم النحر يعلمهم المناسك ويقول : لتأخذوا عني مناسككم ، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه !

الرجوع إلى مكة لطواف الافاضة

٤٤ – ثم ركب رسول الله ﷺ فجاء مكة وطاف بالبيت وطاف أصحابه .

وجوب السعي مرة ثانية للمتمتع

٤٥ – ولم يسع بين الصفا والمروة ولا أصحابه الذين حجوا حجة القران ، وطاف وسعى الباقون الذين حجوا حجة متمتع ، ثم حل الرسول ﷺ وحلوا الحل كله بما فيه إتيان النساء .

٤٦ – ثم صلى الظهر. بمكة ، وقيل بمنى . ورجع بعد ذلك إلى منى ، فمكث بها أيام التشريق بلياليها[1] .

في كل من الايام الثلاثة .

١) ويشرع للحاج مع ذلك أن يزور الكعبة ويطوف بها كل ليلة من ليالي منى وصح في ذلك حديث .

رمي الجمرات في أيام التشريق

٤٧ – ثم رجع ﷺ إلى منى فبات[١] بها ، فبقي بها أيام التشريق يرمي في كل يوم الجمرات الثلاث بإحدى وعشرين حصاة ، لكل جمرة سبع[٢] وذلك بعد الزوال[٣] . يستقبلهم القبلة

---

١) ويجوز للعاجز عن الرمي لمرض أو كبر سن أو حمل ان يوكل من يرمي عنه ، لقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وذلك بخلاف غيره من المناسك فلا ينبغي التوكيل لعدم وجود الحرج . وحبذا لو ينظم السير وخاصة عند رمي الجمرات ، فيكون الذهاب من طريق والرجوع من طريق آخر تفادياً لما يحدث من الأخطار بسبب الزحام . ويجوز للنائب أن يرمي عن نفسه مرة ثم عن مستنيبه مرة أخرى في موقف واحد .

٢) ومما سبق ندرك وجوب المبيت في منى خلال ايام التشريق لأنه من هديه ﷺ .

وما أروع ما وصف به أحدهم هذه الأيام فقد قال .. نحن لا نعيش إلا في أيام معدودت ، هي اليوم العاشر من ذي الحجة وما يليه في منى من أيام التشريق ، وكيف نستطيع أن ندخل هذه الأيام الأربعة وما حولها في حساب الزمن ومقاييسه وان الدقائق فيها واللحظات لتمتد وتتسع وتعمق حتى لكأننا الأحياء السابحة فيما يشبه المحيط من المشاعر والاحاسيس .. (عن رسالة لبيك اللهم لبيك) بتصرف قليل .

٣) لا يجوز الرمي في أيام التشريق بعد يوم النحر إلا بعد الزوال خلافاً لما يفعله بعضهم ، فقد قال جابر رضي الله عنه : «رأيت رسول الله ﷺ يرمي يوم النحر ضحى ، وأما بعد ذلك ، فبعد زوال الشمس

بعد رمي الجمرة الأولى والثانية دون الثالثة ويدعو الله متضرعاً بما شاء.

ويجوز أن يقتصر في رمي الجمرات الثلاث على يومين قط لقوله تعالى (واذكروا الله في أيام معدودات ، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه[1]) الآية .

تمام قصة عائشة

٤٨ – إن عائشة حاضت كما سبق فقامت بأعمال الحج كلها غيرأنها لم تطف بالبيت .

٤٩ – حتى إذا طهرت طافت بالكعبة ، والصفا والمروة ، ثم قال لها رسول الله : قد حللت حجك وعمرتك جميعاً ، قالت يا رسول الله أتنطلقون بحج وعمرة ، وأنطلق بحج ! ؟ قال : إنّ لك مثل ما لهم . قالت إني أجد في نفسي أني لم أطف بالبيت حتى حججت . قال فاذهب بها يا عبد الرحمن (وهو أخوها) فأعمرها

= أخرجه مسلم والترمذي وابو داود والنسائي ، وعن ابن عمر كان يقول : «لا ترمى الجمار في الايام الثلاثة حتى تزول الشمس» رواه البخاري وغيره . وبذلك قال الجمهور. وقال اسحق : ان رمى قبل الزوال أعاده !

١) عن نافع ان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان يقول : «من غربت عليه الشمس من أوسط أيام التشريق ، وهو بمنى ، فلا ينفر حتى يرمي الجمار – من الغد» أخرجه الموطأ قال محقق جامع الاصول : واسناده صحيح .

من التنعيم بعد الحج فاعتمرت[1] ثم أقبلت .. الحديث .

طواف الوداع[2] وانتهاء مناسك الحج

---

١) وليس في هذه العمرة دليل للذين يقومون بعمرات كثيرة من التنعيم بعد الحج ، فيتعبون أنفسهم . ان هذه العمرة خاصة بالحائض فقط ! فلا يصح لغيرها . ولو صحت هذه العمرة بطل الذبح واكتفى الناس بحج الأفراد ، عند من يقول بجوازه وأدوا عمرتهم بعد الحج من التنعيم بريالين ! ! تقريباً ومن محاذير عمرة التنعيم هذه ، الازدحام المؤذي في الطواف والسعي ، وتزهيد المسلمين من زيارة بيت الله الحرام خلال السنة ، ولم يعرف أحد من الصحابة والتابعين من فعلها . ولو كانت خيراً لسبقونا إليه !

٢) لم يشرع الاسراع في هذا الطواف ولا في طواف الزيارة خلافاً لطواف القدوم . كما لا يشرع الاضطباع كما ذكر ذلك في طواف القدوم .

وتعفى الحائض والنفساء من طواف الوداع تخفيفا عنهما كيلا تتأخرا عن السفر لحديث ابن عباس قال : أمر النبي ﷺ أن يكون آخر عهدهم بالبيت ، إلا أنه خفف عن المرأة الحائض ! ! رواه البخاري ومسلم .

وتحسن الاشارة بمناسبة الكلام على طواف الوداع الى عدم وداع البيت بالرجوع القهقرى فإن ذلك بدعة لم تنقل عن النبي ﷺ ، وقد جاء في الحديث الصحيح « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » ومحبة الله تعالى ورسوله ﷺ تكون باتباع ما جاء في القرآن العظيم والسنة الصحيحة ، لا باختراع عبادات باطلة بحجة هذه المحبة . قال الشاعر :=

وقبل أن يغادر رسول الله ﷺ مكة طاف طواف الوداع[1] ..

لا حرج

عمن قدم شيئاً من مناسك يوم النحر او أخر

جلس رسول الله ﷺ بمنى يوم النحر للناس ، فما سئل عن شيء قدم قبل شيء الا قال لا حرج ، لا حرج ، حتى جاءه رجل فقال : حلقت قبل أن أنحر فقال : لا حرج .

ثم جاء آخر فقال : حلقت قبل أن أرمي قال لا حرج . ثم جاءه آخر فقال : طفت قبل أن أرمي ؟ قال لا حرج . وقال آخر طفت قبل أن اذبح ؟ قال اذبح ولا حرج . ثم جاء آخر فقال اني نحرت قبل ان أرمي قال : ارم ولا حرج .

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع !
وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

* * *

قال الدكتور محمد حسنين هيكل في كتابه : «حياة محمد» بعدما سرد حجة الوداع : «يسمي بعضهم حج النبي : حجة الوداع ، وآخرون : حجة البلاغ وغيرهم حجة الإسلام . وهي في الحق ذلك كله . فقد كانت حجة الوداع ، رأى فيها محمد مكة والبيت الحرام للمرة الأخيرة . وكانت الإسلام ، أكمل الله فيها للناس دينه وأتم عليهم نعمته .

وكانت حجة البلاغ ، أتم النبي فيها للناس ما أمره الله ببلاغه . وما محمد إلا نذير ، وبشير لقوم يؤمنون» .

عَوْدًا يارب!

١) ان طواف الوداع مفعم بالأحاسيس والمشاعر العميقة لأنه طواف الفراق الذي لا يعلم إذا كان بعده لقاء ، فالقلب يتفجر بالدعاء والنداء : عودا يا رب .

وقد كان عباس يدعو في الطواف :

« اللهم إني عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ، حملتني على ما سخرت لي من خلقك ، وسيرتني في بلادك حتى بلغتني -بنعمتك- الى بيتك ، وأعنتني على أداء نسكي . فان كنت رضيت عني ، فازدد عني رضا ، والا فمن الآن فارض عني قبل أن تنأى عن بيتك داري ، فهذا أذان انصرافي إن اذنت لي ، غير مستبدل بك ولا ببيتك ، ولا راغب عنك ، ولا عن بيتك .

اللهم فاصحبني العافية في بدني ، والصحة في جسمي والعصمة في ديني ، وأحسن منقلبي ، وارزقني طاعتك – ما أبقيتني واجمع لي بين خيري الدنيا والآخرة انك على كل شيء قدير .. »

وما أبدع ما جاء في رسالة « لبيك اللهم لبيك من وصف رائع لطواف الوداع :

ودع هريرة ان الركب مرتحل   وهل تطيق وداعاً أيها الرجل؟!

« وفي اليوم الاخير زرت المسجد الحرام لاطوف بالكعبة طواف الوداع . وكانت لحظات رائعة ، وأنا أهتف وقد تعلقت باستار الكعبة : عوداً يا رب .

يا للموقف الرائع الرهيب ..

أشهد اني لم أشعر باللوعة تلذع قلبي ، وتهز مشاعري في أي موقف=

= من مواقف الوداع كما شهدتها ، وأنا في موقفي هذا أودع الكعبة وأغادر المسجد الحرام .

لقد عشت تلك الايام القليلة في مهبط الوحي ، ومشرق النبوة ، ومسرح الذكريات الحية الخالدة ، ومشاعر التجرد والانطلاق في تلك الاجواء الروحية الصافية ، فإذا أنا خلق آخر يدور في فلك بعيد . جذبته اسراره ، وغمرته انواره ، فلا يطيق الافلات من أسر هذه الجاذبية الحبيبة ، ولا تطيب نفسه بالانسلاخ من تلك الهالات والأنوار ..

أقسم ... لقد سلختني هذه الحقيقة الوجدانية التي عشت فيها ما أقمت بمكة عن أخص مشاعر البشرية فإذا أنا قد نسيت أهلي وولدي وكأن صورهم وذكرياتهم قد أمحت من عقلي وقلبي جميعا ، فلا أكاد أذكر منهم أحدا إلا حين يجلس رفيقي فيكتب رسالة إلى أهله .

وأقسم لقد كنت ، وأنا أجلس بجانبه أكتب مثل رسالته أحاول أن أستعيد إلى مخيلتي صور أولئك الأهل والولد فلا أكاد أتبين ملامحهم إلا بعد جهد يعتصر الذهن والخيال . حقيقة وجدانية واعية ، وليست اختلاطا في العقل أو مسا في الشعور» .

ثم جاء آخر فقال رميت بعدما أمسيت ! فقال لا حرج[1] رواه البخاري .

معالم وذكريات

قلت لصاحبي[2] :

لنعيش في جو تلك القصة الانسانية الخالدة ، فما أحب أن ننفلت من هذا الجو التاريخي الرائع إلى سواه ، قبل أن تبلغ مشاعرنا مداه !

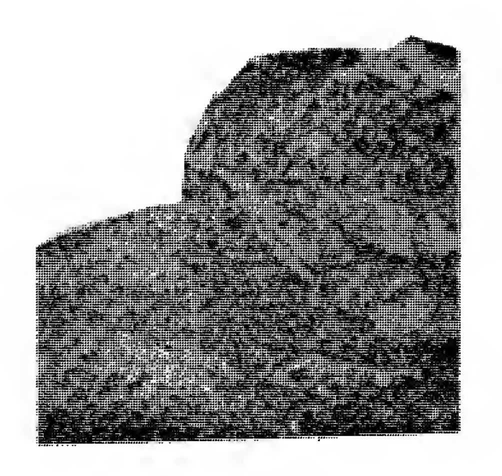
قال : اذن ، الى جبل ثور .

... وأوحى الله الى محمد ﷺ بنبأ هذه المؤامرة الكبرى ، وأذن له في الفرار بحياته ودينه ، وأسرمحمد ﷺ بالخبر الى صديقه أبي بكر ، فانطلقا تحت جنح الظلام في الطريق الى اليمين ... تضليلا للطلب ، في الليلة التي حددتها قريش لتنفيذ المؤامرة ! (مؤامرة قتل الرسول ﷺ)

---

١) السنة ترتيب أفعال يوم النحر كما يلي : رمي جمرة العقبة ، ثم الذبح ثم الحلق ، ثم طواف الافاضة ، فمن قدم بعضها على بعض جاز ولا فدية عليه للحديث السابق .وما أروع الرخصة الأخيرة وهي رمي جمرة العقبة يوم النحر ليلاً وقاسم العلماء عليها الرمي ليلاً في بقية ايام التشريق .

٢) نقلاً عن كتاب «لبيك اللهم لبيك» للكاتب محمد كامل حته (ص ٥٩ – ٦١) .



غار ثور .. الله ثالثهما !

ووقف محمد ﷺ يلقي على مكة نظرة الوداع ، وهو مفطور القلب موجع النفس ، وقال :

– والله انك لأحب أرض الله الي ، وانك لأحب أرض الله الى الله ، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت منك !

وحملتنا السيارة الى جبل ثور ، جنوبي مكة . وأغفت عيني حين استيقظت مشاعري ، فاذا بي ألمح شبحين قد تدثرا بالظلام ، يتخلف أحدهما فيسير من وراء مرة ، ثم يسرع فيسير من أمام مرة أخرى ..

ثم اذا بي أسمع همس الشبح الآخر وهو يسأل صاحبه عن أمره ذاك ، فيقول له :

– يا رسول الله .. أذكر الطلب فأمشي خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك ! !

فيشرق وجه الرسول بابتسامة جميلة .

وبلغنا قمة الجبل بعد جهد ، ثم وقفنا أمام الغار الذي احتضن الدعوة الاسلامية وهي وليد طريد ، وحمى صاحب الدعوة وصفيه من كيد المشركين .

ثم عادت بي مشاعري إلى أعماق الماضي البعيد ...

وانبثقت من جوف الغار المظلم أضواء ذلك الماضي ، فاذا أبو بكر يسبق محمد ﷺ في الدخول الى الغار ، فيستبرئه مما عساه أن يكون فيه .

وجن جنون القوم ، فانطلقت خيلهم تركض في كل سبيل ، وتعدو في كل اتجاه . وانطلق قصاصو الأثر يستنطقون ذرات الرمال ومسارب الجبال ! وبلغ بعض فتيانهم جبل ثور ، ثم خطر لهم أن يصعدوا فيه فينظروا لعل محمدا ﷺ وصاحبه قد أويا الى غاره ..

وأحس الرجلان وقع أقدام وهمهمة حديث تقترب منهما رويداً رويداً ، ووجم أبو بكر لحظات ، وكان كلما اقترب الصوت ألصق جسمه بمحمد يستره ويحميه ، وقد استبدَّ به الحزن حتى تندت عيناه بالدموع ..

ووقف أحد الفتيان على باب الغار يجيل بصره فلا يرى شيئاً ...

وهمس أبوبكر في أذن صاحبه يقول :

– لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا !

فيجيبه محمد ﷺ في طمأنينة وعزاء :

– يا أبا بكر ، ما ظنك في رجلين الله ثالثهما .. لا تحزن ان الله معنا[1] !

* * *

---

١) في هذه الآية إشارة بعلو منزلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، عند الله تعالى وعند الرسول ﷺ وعظيم ثقته به .

ومع كل هذا يقول بعض الرافضة عليه من الله ما يستحق ناكراً لجميع فضائل هذا الصديق : « يجوز أن يستصحبه الرسول حذراً منه لئلا يظهر أمره » !

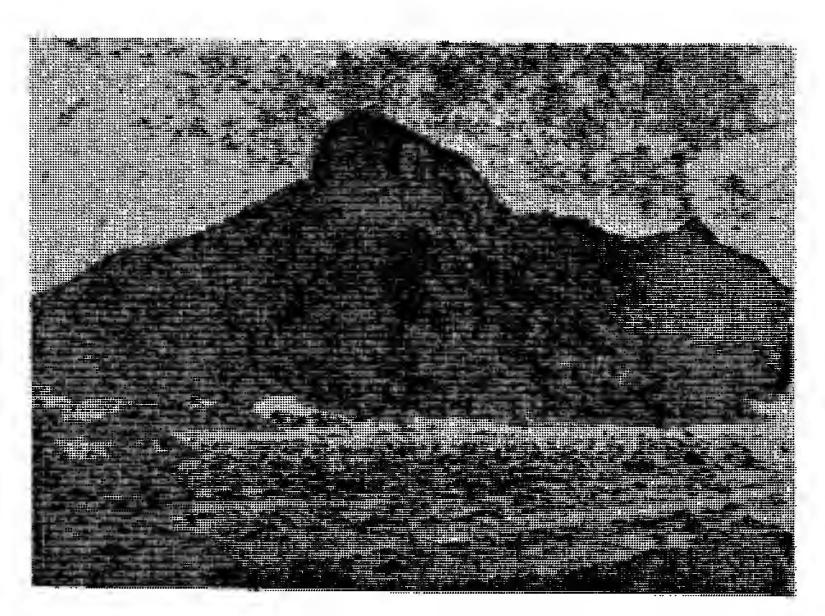
وإذا كان ما قاله هذا الرافضي صحيحاً ، فلماذا جعل ابنه وابنته وخادمه أعوانا في هذه الهجرة الرهيبة ؟ ولماذا لم يكشف الصديق أمره للمشركين لما جاؤوا إلى الغار ؟ ! فهلا خرج اليهم وأسلمه لهم ؟ فسبحان من أعمى بصائر المنافقين والأعداء والحساد . حتى غدا منطقهم في مصاف منطق الحمقى والمجانين ؟ ! .

وفي قول الرافضي السابق نسبة الغفلة إلى الرسول ﷺ إذ كيف يصحب في رحلته الخطيرة منافقاً ؟ !

اذا ما الحمق خيم في إنـــاس رأيت أسودهم مسخوا قرودا !

ثم قفلنا راجعين الى مكة . وتواعدت مع صاحبي على أن نقصد في صباح اليوم التالي لزيارة غار حراء .

وقال صاحبي وهو يودعني :



جبل النور بمكة المكرمة وبه غار حراء

أخشى أن تكون قد أصابتك عدوى بعض الحجاج ، الذين يعتبرون زيارة هذه المشاهد من مناسك الحج ، ويسرفون فيما يذهبون من ذلك أيما اسراف .

قلت : معاذ الله أن أكون من الجاهلين ! ! فلم تكن هذه المشاهد مزاراً في عهد الرسول وأصحابه . واني لأنكر أشد الانكار العقائد الفاسدة التي طغت على بعض المسلمين في عصور الجهل والانحلال ، والتي رسبت في أعماقهم من آثار الوثنيات الأولى ، وآثار السموم الاسرائيلية التي سرت في كثير من كتب الدين ، وما حرص عليه كثيرمن الولاة لتوطيد سلطانهم وتوهين القوى الواعية الرشيدة في شعوبهم ، من طريق اشاعة الخرافات والأساطير ، واحتضان المذاهب الفاسدة والشعائر الباطلة .

وإني لأؤمن أن الوثنية والانحراف عن التفكير السليم في ملكوت السموات والأرض ، انما تصيب العقول – أول ما تصيب – عن طريق الترخص في تقدير قيم أمثال هذه المشاهد ، والانسياق في تيار ما تخلعه على العاكفين عليها من تصورات تجعلها آخر موضع العبادة والتقديس ، وهل كانت دعوى العرب في الجاهلية عن أصنامهم الا أن قالوا :

«ما نعبدهم[1] الا ليقربونا الى الله زلفى» ؟

وهل يقول بغير ذلك – مع اختلاف في العبارة – أولئك القبوريون الذين تعج بهم الأضرحة والمشاهد ، ولو كانوا مخلصين حقيقة لمن تضمهم هذه القبور من الشهداء والصالحين عن بصيرة وإيمان ، لابتغوا الى الله الوسيلة[2] بمثل ما كان عليه أولئك الشهداء والصالحون ، من حفاظ على دين الله وجهاد في سبيله ؟

ثم ألا ترى معي في هذا المبدأ الخطير ، مبدأ الوساطة بين الانسان وربه ، أساساً من أسس الفساد الديني والسياسي ، الذي استغله – ومازال يستغله – من يسمون أنفسهم رجال الدين ، وكثير من الحكام ، في القضاء على الحرية الذاتية والكرامة البشرية للانسان ، تحقيقاً لمطامعهم الخاصة ، وتمكيناً لسلطانهم الزائف ؟

---

١) أي ما ندعوهم ونستعين بهم ، وننذر ونذبح لهم إلا ليقربونا الى الله ، وكل ذلك شرك ، والعياذ بالله ! وهذا ما يفعله كثير ممن يسمون مسلمين ويا للأسف .

٢) إشارة إلى الآية ٥٧ من سورة الإسراء التي تشير الى ان الوسيلة الى الله تكون بالتقرب اليه بالعمل الصالح ، لا بالأنبياء والأولياء الذين هم أنفسهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ، فكيف تتوسلون بهم ، وهم في هذه الحال من العجز ؟! قال سبحانه يخاطب نبيه محمداً ﷺ : (قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً ! !)

أما أنا يا صديقي ، فأعوذ بالله أَن تصيبني هذه الفتنة ، وأبرأ اليه من أن أتصور هذه المشاهد والمعالم على غير صورتها التي فطرها الله عليها . وما كان لي أن أقصدها التماساً للبركة بالتمسح والمناجاة ، وإنما أقصدها لأستنطقها ما انطوت عليه من عبر التاريخ ، كما اقرأ ذلك في صحيفة ، أو أتدبره في كتاب !

وأقلتنا السيارة فجر اليوم التالي في الطريق الذاهب إلى منى . وهناك على مسيرة بضع كيلومترات ، يقوم جبل النور شاهقاً منفرداً بين الجبال ، يروي للانسانية منذ أربعة عشرقرناً إلى أن تقوم الساعة ، تلك الآية الخالدة التي انبثقت أنوارها في قلب محمد ابن عبد الله، وهو يتحنث في غار حراء ! !

ورقينا الجبل حتى بلغنا قمته ، ثم انحدرنا قرابة خمسين متراً فاذا نحن أمام الغار ، حيث كان محمد ﷺ يقضي الليالي ذوات العدد في رياضة روحية ، يستغرقه التأمل في ملكوت السموات ، والتطهر من نوازع البشرية وهموم الحياة اذ كانت العناية الالهية تعده لتلقي الرسالة الكبرى التي أضاء بنورها الخافقان .

واستغرقني التأمل والاعتبار ، فاذا أنا روح يحوم حول قمة الجبل ثم يحلق على باب الغار[1] ، وإذا أضواء ساطعة تنبعث من

---

١) نأمل من الحجاج الاكتفاء بهذا البحث وبالصورتين عن زيارة الغارين خشية عليهم من التعب ومن ضربة الشمس التي قد تسبب الموت

جوف الغار فتأخذ بالقلوب والأبصار ، وإذا بي أكاد أسمع صوتاً رفيعاً يقول : (اقرأ ... وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم !)

والهلاك في موسم الصيف .

١) ويستحب لمن كان ميقاته ذا الحليفة أن يصلي ركعتين لا لخصوص الاحرام ، بل لبركة المكان وفي ذلك حديث رواه البخاري .

خلاصة أعمال الحج والعمرة

برنامج يوميات الحاج المتمتع

ماذا يفعل المعتمر

١ – إذا قارب الميقات يقص شعره ويقلم أظافره ، ويغتسل ويتطيب[١] ويحرم بإزار ورداء[٢] ويلبس النعل ، وينوي سراً دون أن يتلفظ بالنية كأن يقول : «لبيك اللهم بعمرة» فإن التلفظ بالنية بدعة !

٢ – وإذا كان مسافراً بالطائرة وصعب عليه تحديد الميقات ، أحرم من بيته ، أو من المطار بعد أن يغتسل ويتطيب ، وينوي بعد قليل من ركوبه في الطائرة إذا خشي من إغفال الصفارة التي تطلق من الطائرة إعلاماً بوصول الميقات .

٣ – يبدأ بالتلبية ويثابر عليها : «لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك»

٤ – يدخل المسجد الحرام ويطوف سبعة أشواط حول الكعبة مبتدئاً من الحجر الأسود . ويسمى هذا الطواف طواف القدوم

---

٢) وتحرم المرأة – ولو كانت حائضاً أو نفساء بثيابها بعد الاغتسال .

وفيه يضطبع[1] ويرمل – أي يسرع – في الاشواط الثلاثة الأولى) وفي كل شوط يقبل الحجر الأسود ، إذا استطاع ، أو يلمسه بيده او يستلمه بطرف عصا أو نحوها ويقبلها ، أو يشير إليه . وهو يقول في كل مرة : بسم الله أكبر . ويلمس الركن اليماني إذا استطاع .

٥ – ويدعو بما شاء خلال طوافه ، ويحسن أن يكثر من دعاء : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» بين الركنين اليمانيين .

٦ – ثم يذهب الى مقام ابراهيم ، وهو يقرأ رافعاً صوته : (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) ، فيجعل المقام بينه وبين البيت ، فيصلي ركعتين ، ويقرأ في الاولى بعد الثناء والفاتحة : (قل يا أيها الكافرون) وفي الثانية : (قل هو الله أحد) .

٧ – ثم يذهب الى زمزم ، فيشرب منها ويصب على رأسه قليلاً من مائه .

٨ – ويرجع الى الحجر الأسود فيستلمه إذا استطاع أو يلمسه أو يشير اليه وهو يقول ، الله أكبر .

٩ – ثم يسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط ، مبتدئاً من

---

١) الاضطباع أن يدخل الرداء من تحت إبطه الأيمن ، ويرد طرفه على يساره ، ويبدي منكبه الأيمن ويغطي الأيسر « قاموس » .

الصفا ، وهو يقول : (إن الصفا والمروة من شعائر الله) ويجتهد أن يرى البيت منه فيستقبله .

١٠ – ويذكر الله تعالى بلفظ لا إله الا الله والله أكبر ولله الحمد (ثلاثاً) ثم يقول : «لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله ، وحده ، انجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده» (ثلاثاً) ويدعو بعد ذلك .

١١ – ثم ينزل ماشياً الى المروة ، داعياً بينهما بما تيسر ، فيسرع بين العلم الاول والعلم الثاني ، ويمشي بالمعتاد بين العلم الثاني والمروة وإذا وصل الى المروة صعد اليها ، وهو ينظر الى الكعبة .

١٢ – فيفعل على المروة كما فعل على الصفا من الذكر والدعاء .

١٣ – يفعل ذلك سبعة أشواط . والانتقال من الصفا إلى المروة يعتبر شوطاً واحداً من الأشواط السبعة ، وكذلك الرجوع من المروة إلى الصفا يعتبر شوطاً ثانياً وهكذا . وينتهي في المروة .

١٤ – ثم يفسخ العمرة (إذا كان متمتعاً) فيخلع ملابس الإحرام ويقصر من شعره ولا يحلقه ، ويلبس ثيابه العادية ، وعندئذ يباح له كل شيء من محظورات الأحرام كالتطيب وإتيان النساء .

١٥ – ويبقى هكذا إلى اليوم الثامن من الحجة حيث تبدأ مناسك الحج .

الحج الاكبر

ماذا يفعل الحاج المتمتع في اليوم الثامن (يوم التروية)

١ – يغتسل ويتطيب ويلبس إحرامه من مكانه في مكة وينوي سراً كقوله : «لبيك اللهم بحج» .

٢ – يذهب الى منى ويبيت فيها .

٣ – يؤدي صلاة الظهر وبقية الصلوات الخمس بها يقصر ولا يجمع .

ماذا يفعل الحاج المتمتع ،في اليوم التاسع من ذى الحجة

١ – يذهب الى عرفات من منى وهو محرم بعد طلوع الشمس .

٢ – ينزل بنمرة عند عرفات ويصلي الظهر والعصر هناك جمع تقديم بأذان وإقامتين .

٣ – ويدعو وهو مستقبل القبلة ويكون مفطراً .

٤ – يقف على عرفة ويكثر من التلبية والدعاء والذكر بـ «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» .

٥ – سماع الخطبة في عرفة .

٦ – يذهب من عرفه الى المزدلفة بعد غروب الشمس وعليه السكينة .

٧ – يجمع بين المغرب والعشاء جمع تأخير في المزدلفة بأذان واقامتين .

٨ – يبيت بالمزدلفة دون إحياء الليل . ويجوز للضعفة والنساء والصبيان ان يذهبوا الى منى قبل آخر الليل ويذهب معهم وليهم من الرجال .

٩ – يصلي الفجر في المزدلفة . ثم يسعى بين الصفا والمروة سبعة اشواط ، مبتدئًا من الصفا ، وهو يقول : (ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حجَّ البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطَّوفَ بهما ، ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم) ويقول : «نبدأ بما بدأ الله به» .

١٠ – يقف على المشعر الحرام (إذا استطاع) مستقبل القبلة داعياً حامداً مكبراً مهللاً حتى الإسفار جداً .

١١ – يخرج من المزدلفة قبل أن تطلع الشمس الى منى .

١٢ – الاسراع قليلاً في بطن محسِّر (وهو جبل معروف في منى)

ماذا يفعل الحاج المتمتع في اليوم العاشر (يوم العيد)

١ – الذهاب إلى جمرة العقبة في منى من طريق الذهاب الى عرفة .

٢ – يرمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس ويكبر مع كل حصاة ويترك التلبية . ويباح له أن يلقيها ليلاً .

٣ – يذبح في منى أو مكة ويحلق أو يقصر (الحلق افضل) .

على أن يبدأ بيمين المحلوق . ويمكنه تأجيل الذبح الى اليوم الرابع من أيام العيد .

٤ – ويلبس ملابسه كالمعتاد ويتطيب ويحل الحل الاول فيفعل ما يريد غير أنه لا يأتي النساء . وله أن يحل الحل الاول قبل الذبح .

٥ – سماع الخطبة يوم النحر .

٦ – يذهب الى مكة ويطوف طواف (الافاضة) بدون رمل . ولا اضطباع ثم يصلي ركعتين عند مقام ابراهيم ويشرب من ماء زمزم ويصب الماء على رأسه كما فعل في العمرة .

٧ – ويسعى بين الصفا والمروة ويتلو الاذكاروالأدعية كما فعل في العمرة .

٨ – ويكون قد أحل التحلل الثاني ويباح له كل شيء من محظورت الاحرام .

ماذا يفعل الحاج المتمتع يوم الحادي عشر (الأول من أيام التشريق)

١ – الرجوع إلى منى والبقاء فيها أيام التشريق الثلاثة .

٢ – يرمي الجمرة الصغرى بعد الزوال بسبع حصوات متفرقات ويكبرعند كل حصوة .

٣ – ثم يرمي الجمرة الوسطى (كما فعل في الاولى) .

٤ – وبعد ذلك يرمي جمرة العقبة ويفعل كالسابق .

جاء في كتاب حجة النبي ﷺ ويستحب أن يقف عقب رمي الأولى عندها مستقبلاً القبلة زماناً طويلاً يدعو ويذكر الله تعالى ، ويقف كذلك عند الثانية ولا يقف عند الثالثة .

ماذا يفعل الحاج المتمتع يوم الثاني عشر

يفعل ما فعله في اليوم الحادي عشر ، وله في هذا اليوم ان يتعجل ويترك منى بعد رمي الجمرات الثلاث على أن يكون خروجه منها قبل غروب الشمس . وإذا تأخر عن ذلك لزمه البقاء إلى اليوم الثالث يفعل ما فعله في هذا اليوم .

ماذا يفعل الحاج في اليوم الثالث عشر إذا لم يتعجل

اذا لم يتعجل وهو الافضل ، وبقي الى هذا اليوم ، رمى الجمرات الثلاث كما فعل في اليوم الحادي عشر والثاني عشر .

وهكذا يكون قد انهى أعمال الحج ما عدا طواف الوداع ، فعليه ان يقوم به قبل أن يترك مكة المكرمة .

زيارة مسجد الرسول[1] ﷺ

تسن زيارة مسجد النبي ﷺ قبل الحج أو بعده ، لما ثبت في الصحيحين عنه ﷺ قال : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة

---

١) إن زيارة المسجد النبوي مفعمة بالذكريات العميقة والمشاعر والأحاسيس العذبة ، فمن هذا المسجد انطلقت أسس المدنية الفاضلة لأول مرة في تاريخ البشرية ، ومنه خرجت شعلة الهداية فأضاءت العالم وأخرجت الناس من الظلمات الى النور ، ومنه ايضا خرجت الجيوش لتفتح الدنيا وتنقذ الانسانية ، وتخرج الناس من عبادة الاصنام الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام . بفضل محمد ﷺ الذي أرسله تعالى رحمة للعالمين .

وقد وصف أحد الادباء زيارته للمسجد النبوي وللقبر الطاهر الشريف وصفا مؤثرا جاء فيه :

... حتى اذا ولجت باب المسجد النبوي ، وقفت استجمع مشاعري وأمسك أنفاسي ، وأنا أتأهب لمواجهة أنوار النبوة التي أضاءت الكون ، منبعثة من جثمان طاهر يحتويه هذا المقام . ودخلت المسجد فأديت الصلاة في الروضة الشريفة وتذوقت في صلاتي هذه بين يدي الحي القيوم الذي تحنو لعظمته الوجوه : أسرار قوله : « ﷺ » (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة) . رواه البخاري ومسلم .

ثم أقبلت على المقام في شوق طاغ وقلب مشبوب ، إنه مقام الحب والرحمة والهداية والنور ، فما استفتحت بالسلام حتى عرتني هزة عقدت لساني عن القول وانطلقت مآقي بالدموع ...

مساجد : مسجدي[1] هذا ، والمسجد الحرام والمسجد الاقصى .

وقال محمد ﷺ « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف

أي لسان يستطيع أن يفصح في هذا المقام؟ وأي بيان يستطيع أن يبين ؟ .

وعدت استجمع مشاعري وأمسك أنفاسي ، وأنا أواجه انوار النبوة . ثم توجهت اليه في مقامه الكريم ، أحييه ...

السلام عليك يا نبي الله ، السلام عليك يا حبيب الله . أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، فلا معبود بحق سواه . وأشهد أنك عبده ورسوله ، بلغت الرسالة وأديت الامانة ، ونصحت الأمة وجاهدت في سبيل الله ... (من رسالة لبيك) .

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه	فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنــه	فيه العفاف ، وفيه الجود والكرم

* * *

أنت الذي قوّمت ميزان الورى	ومحوت ظلم العدل في الميزان
آسيت أيتاماً ، كفلت أرامـلاً	أسعدت محروماً ، رحمت العاني
أنقذت مسكيناً ، حميت مشرداً	أسعفت مكروباً ، هديت الجاني
صلت عليك النيرات وسلمت	يا رحمة بعثت من الرحمن
ماذا أصوغ من الثنـاء المنتـقى	لو كان نظم الدر بعض معاني
إن كان شكرك في لساني ناطقاً	فالحب قبل الشكر ملء جناني

١) بمناسبة الكلام على مسجد الرسول ﷺ نشير الى تحريم المدينة المنورة فقد قال النبي ﷺ : « المدينة حرام ما بين عير الى ثور . فمن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» الحديث

صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام» وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في مسجدي[1] هذا أخرجه أحمد وابن خزيمة وابن حبان وسنده صحيح .

فاذا وصل الزائر الى المسجد استحب له أن يقدم رجله اليمنى عند دخوله ويقول « بسم الله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم افتح لي أبواب رحمتك» كما يقول ذلك عند دخول سائر المساجد .

متفق عليه . وفي حديث آخر رواه أبو داود عن المدينة : «ولا يصلح أن يقطع منها شجرة ، إلا أن يعلف رجل بعيره» . وذلك بضرب الشجرة بعصا ونحوها ليتساقط ورقها لتعلف به الدواب . والمحدث المبتدع في الدين . وإيواءه الرضا عنه ، وحمايته من التعرض له ، واذا كان من يؤوي محدثاً ملعوناً فكيف الحال بالمبتدع نفسه ؟ ! فعلينا الحرص على التمسك بالسنة والحذر من البدع ولابتداع ! !

١) قد يتسائل بعضهم : كيف نوفق بين نهي الرسول ﷺ في عدة احاديث صحيحة عن اتخاذ القبور مساجد ، ولعن من يفعل ذلك حماية للتوحيد وبين وجود قبره ﷺ في مسجده ؟ وجواب ذلك سهل جداً قال العلامة الحافظ محمد بن عبد الهادي في «الصارم المنكى» (ص ١٣٦-١٣٧) «انما ادخلت الحجرة في المسجد في خلافة الوليد ابن عبد الملك بعد موت عامة الصحابة الذين كانوا بالمدينة ، وكان آخرهم موتا جابر بن عبد الله ، وتوفي في خلافة عبد الملك فإنه توفي سنة ثمان وسبعين ، وعبد الملك توفي سنة ست وثمانين ، وتوفي الوليد سنة ست

وليس لدخول مسجده ﷺ ذكر مخصوص . ثم يصلي ركعتين فيدعو الله فيهما بما أحب من خير الدنيا والآخرة . وان صلاهما في الروضة الشريفة فهو أفضل لقوله ﷺ «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» . (البخاري ومسلم) .

وتسعين . فكان بناء المسجد وادخال الغرفة فيه بين ذلك «نقلا عن تاريخ الطبري وابن كثير.»

اداب زيارة قبر النبي ﷺ

ثم يزور بعد الصلاة قبر النبي ﷺ وقبري صاحبيه أبى بكر وعمر رضي الله عنهما فيقف تجاه قبر النبي ﷺ بأدب وخفض صوت ثم يسلم عليه ﷺ قائلاً : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، لما في سنن أبي داود بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «ما من أحد يسلم عليَّ الا ردّ الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام» وان قال الزائر في سلامه : «السلام عليك يا نبي الله ، السلام عليك يا خيرة الله من خلقه ، السلام عليك يا سيد المرسلين وإمام المتقين ، أشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في سبيل الله حق جهاده . فلا بأس بذلك لأن هذا كله من أوصافه ﷺ ، ثم يسلم على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ويدعولهما ويترضى عنهما . ولا يجوز استقبال قبر الرسول ﷺ ولا غيره من القبور عند الدعاء بل يستقبل القبلة كما نص على ذلك جميع أئمة المذاهب .

وكان ابن عمر رضي الله عنهما اذا سلم على الرسول ﷺ وصاحبيه لا يزيد على قوله : «السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا ابتاه» ثم ينصرف .

ويسن للزائر ان يصلي الصلوات الخمس في مسجد الرسول

ﷺ وان يكثر فيه من الذكر والدعاء اغتناماً لما في ذلك من الاجر الجزيل ولا يجوز لأحد ان يتمسح بالحجرة او يقبلها او يطوف بها لان ذلك لم ينقل عن السلف الصالح بل هو بدعة منكرة ، ولا يجوز لأحد ان يسأل غير الله تعالى في قضاء حاجته أو تفريج كربه او شفاء مريض او ذلك ، لأن ذلك كله شرك !

وقد كان رسول الله ﷺ يخشى على أمته من الغلو فيه فكان يوصيهم بقوله : «لا تطروني كما أطرت النصارى نبيهم ، فقولوا : عبد الله ورسوله» وكان من دعائه «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد !» .

لهذا كله ومن أجل صيانة حمى التوحيد ، يعمد المسؤولون في المدينة المنورة للحفاظ على عقيدة الحجاج ، فيمنعون العامة منهم من تقبيل القبر والتمسح به والاستغاثة بالنبي ﷺ ، فيشيع عنهم أهل السوء ظلماً وكذباً بأنهم يبغضون الرسول ﷺ فعلى المفترين ما يستحقون من غضب الله تعالى. ودين الاسلام مبني على أصلين : أحدهما أن لا يعبد إلا الله وحده والثاني أن لا يعبد إلا بما شرعه الرسول ﷺ .

قال القاضي عياض ، في تفسير قوله تعالى : «ليبلوكم أيكم أحسن عملا» «ما كان أخلصه وأصوبه» وقد قال هذا النبي العظيم: «إذا سألت فأسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله» هكذا علمنا رسول الله ﷺ . وإذا أردت طلب الشفاعة ، فادع : اللهم

شفع في نبيك . قال تعالى (ولله الشفاعة جميعاً) وقال : (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) . ويستحب لزائر المدينة ان يزور مسجد قباء ويصلي فيه ، لما في الصحيحين من حديث ابن عمر قال : كان النبي ﷺ يزور مسجد قباء راكباً وماشياً ، ويصلي فيه ركعتين .

وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة» . رواه احمد والنسائي وابن ماجة واللفظ له والحاكم . وسنده جيد .

ويسن له زيارة قبور البقيع وقبور الشهداء وقبر حمزة رضي الله عنه ، لأن النبي ﷺ كان يزورهم ويدعو لهم . وكان النبي ﷺ يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا «السلام عليكم أهل الديار من المومنين والمسلمين ، وانا إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية» أخرجه مسلم من حديث بريدة رضي الله عنه . ولم يرد عن الرسول ﷺ في زيارة القبور الا السلام عليهم والدعاء لهم فقط .

من أهم ما ينبغي ان لا ننساه بمناسبة الكلام على فضل الصلاة في المسجد الحرام ، والمسجد النبوي ، ان الشارع أمرنا بقصر الصلاة المفروضة في السفر وترك السنن الراتبة . غير ان باب التطوع

مفتوح في هذين المسجدين فليكثر فيهما . ومثلهما المسجد الاقصى في القدس – أعاده الله تعالى الى المسلمين . فان الصلاة فيه بمئتين وخمسين صلاة للحديث الصحيح ولفضل هذه المساجد فإنه لا يسافر الى غيرها من المساجد لقوله ﷺ «لا تشد الرحال الا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الاقصى ؛ ومسجدي هذا» (رواه البخاري ومسلم) .

وبصدد الكلام على زيارة قبرالنبي ﷺ أنقل فيما يلي آراء الأئمة وكبار الفقهاء في بعض هذه الآداب :

قال الإمام النووي في كتاب آداب زيارة قبره ﷺ من كتابه «مناسك الحج» (٢/٦٩) كره مالك رحمه الله لأهل المدينة كلما دخل أحدهم وخرج الوقوف بالقبر ، قال : وإنما ذلك للغرباء . قال : ولا بأس لمن قدم من سفر وخرج إلى سفر ان يقف عند قبر النبي ﷺ فيصلي عليه ويدعو له ، ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما . قال الباجي : فرق مالك بين أهل المدينة والغرباء ، لأن الغرباء قصدوا ذلك وأهل المدينة مقيمون بها ، وقد قال ﷺ «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ! !» .

١ – وقال الإمام النووي أيضاً في المصدر السابق (٢٦٨) : «لا يجوز أن يطاف بقبره ﷺ ويكره إلصاق البطن والظهر بجدران القبر ، قاله الحليمي وغيره ، ويكره مسحه باليد وتقبيله بل الأدب

أن يبعد منه ، هذا هو الصواب . وهو الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه . وينبغي ان لا يغتر بكثير من العوام في مخالفتهم ذلك ، فإن الاقتداء والعمل انما يكون بأقوال العلماء ، ولا يلتفت إلى محدثات العوام وجهالاتهم : ولقد أحسن السيد الجليل أبو علي الفضيل بن عياض في قوله : (اتبع طرق الهدى ، ولا يغرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين !) ومن خطر في باله ان المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهله وغفلته ، لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع ...

٢ – قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى «ومذهب الأئمة الأربعة مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم من أئمة الأسلام إن الرجل إذا سلم على النبي ﷺ وأراد أن يدعو لنفسه ، فإنه يستقبل القبلة . واختلفوا في وقت السلام عليه . فقال الثلاثة : مالك والشافعي وأحمد يستقبل الحجرة ويسلم عليه من تلقاء وجهه . وقال ابو حنيفة : لا يستقبل الحجرة وقت السلام ، كما لا يستقبلها وقت الدعاء باتفاقهم ثم في مذهبه قولان : قيل يستدبر الحجرة وقيل يجعلها عن يساره فهذا في نزاعهم في وقت السلام . وأما في وقت الدعاء فلم يتنازعوا في أنه يستقبل القبلة لا الحجرة » .

* * *

رؤية الرسول ﷺ في المنام

وبمناسبة الكلام على زيارة مسجد النبي ﷺ ثم السلام عليه والدعاء له كما سبق ، رأيت من الضروري التكلم بشيء من التفصيل على رؤية الرسول ﷺ في المنام وما يترتب عليها ، فقد وقع الكثيرون في جهالات ومحظورات عدة بسببها ، كأن يزعمون أنهم رأوا رسول الله ﷺ في الرؤيا وأخبرهم بأمور قد تخالف الكتاب والسنة ، فيسارعون إلى تنفيذها مستدلين بالحديث الصحيح «من رآني في المنام ، فسيراني في اليقظة . فان الشيطان لا يتمثل بي» (رواه البخاري ومسلم) .

وقد نسي هؤلاء الراؤون أو تناسوا أمرين هامين :

الأمر الأول : إن هذه الرؤيا المنامية التي لا يتمثل بها الشيطان مقيدة بأن تكون وفق ما جاء في وصف صورته ﷺ في كتب السيرة الصحيحة . أما إذا كانت في غير هذا الوصف وغير هذه الصورة فتكون رؤيا شيطان يوهم أنه رسول الله ﷺ فالحذر . وقد ذكر الامام الجيلاني أن الشيطان زعم له بأنه الله فكيف لا يزعم له في المنام بأنه رسول الله ﷺ ؟ !

وقد جاء في موطأ مالك وصفه ﷺ وقد أسنده عن انس

ابن مالك «كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن[1] ، ولا بالأبيض الأمهق[2] ، ولا بالآدم[1] ، ولا بالجعد القطط[2] ولا بالسبط[3] توفاه الله عز وجل وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء ... الحديث» فمن رأى رسول الله ﷺ على هذه الصفة فقد رآه حقاً وإلا فلا .

الأمر الثاني : قال الإمام ابن الحاج رحمه الله تعالى : «وليحذر مما يقع لبعض الناس في هذا الزمان وهو أن يرى النبي ﷺ في منامه فيأمره بشيء أو ينهاه عن شيء فينتبه من نومه ، فيقدم على فعله أو تركه بمجرد المنام دون أن يعرضه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلى قواعد السلف رضي الله عنهم . قال تعالى في كتابه العزيز : (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) فمعنى قوله : (فردوه إلى الله) أي إلى كتاب الله تعالى ، ومعنى قوله : (وإلى الرسول) أي إلى الرسول في حياته ، وإلى سنته بعد وفاته» .

هذا وإن كانت رؤيا النبي ﷺ حقا لا شك فيها (للحديث

---

١) البائن : الذي يضطرب من طوله .

٢) الأمهق : الذي لا يخالط بياضه حمرة .

١) الآدم : فوق الاسمر يعلوه سواد قليل .

٢) الجعد : شعره قائم غير مسترسل .

٣) القطط : الذي يعقد شعره من كثرة جعوده والسبط : المسترسل .

السابق (لكن) لم يكلف الله تعالى عباده بشيء مما يقع لهم في منامهم (قال) ﷺ : رفع القلم عن ثلاث وعدّ فيها النائم حتى يستيقظ ، لأنه إذا كان نائماً فليس من أهل التكليف فلا يعمل بشيء يراه في منامه هذا وجه (ووجه ثان) وهو أن العلم والرواية لا يؤخذان إلا من متيقظ حاضر العقل ، والنائم ليس كذلك (ووجه ثالث) وهو ان العمل في المنام مخالف لقول صاحب الشريعة ﷺ حيث قال : تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي ، فجعل ﷺ النجاة من الضلالة في التمسك بهذين الأصلين اللذين لا ثالث لهما ، ومن اعتمد على ما يراه في منامه فقد زاد لهما ثالثا .

(فعلى) هذا من رأى النبي ﷺ في منامه وأمره بشيء أو نهاه عن شيء فتعين عليه عرض ذلك على الكتاب والسنة إذ أنه ﷺ إنما كلف أمته باتباعهما (وقد) قال : ﷺ (ألا فليبلغ الشاهد الغائب الحديث ..) فاذا عرضها على شريعته فان وافقتها علم أن الرؤيا حق ، وأن الكلام حق وتبقى الرؤيا تأكيداً له ، وإن خالفتها علم أن الرؤيا غير حق ، وأن الكلام الذي وقع فيه ألقاه الشيطان له في ذهنه ، والنفس الأمارة بالسوء لأنهما يوسوسان له في حال يقظته فكيف في حال نومه ؟ !

هذا – وإن الرؤيا تكون غالباً رمزية ، وليست صريحة ، كرؤيا ملك مصر ، فأين مثل يوسف عليه السلام في تأويلهما وتفسيرها ؟ !

أمام الحجرة النبوية !

قصد الدكتور حسين هيكل الى المدينة المنورة ، وزار المسجد النبوي ووقف أمام الحجرة الشريفة ، مأخوذ الذهن عن التفكير متوجهاً بكل انتباهه إلى كل ما يجب أن يقوم به من شعائر الزيارة ...

ثم قال : «وعجبت حين غادرت موقفي من الحجرة وأتممت صلاتي بالروضة ، لقد امتلأت روحي اكباراً وتقديساً واجلالاً . وقد شعرت بما لم أشعر قط من قبل به . لكنني لم أبك ولم تفض عبراتي ، وكنت قد سألت قبيل سفري من مصر الى الحجاز بعض من سبقوني الى الحج والزيارة عن موقفهم أمام قبر الرسول ، فحدثني بعضهم عن اهتزاز أنفسهم وانهمار الدمع من أعينهم ، ولم يأبوا أن يذكروا أنهم كانوا أشد تأثراً حين وقوفهم أمام الحجرة ، منهم حين وقوفهم أمام الكعبة وحين طوافهم بها . وهؤلاء الذين حدثوني هم من خير من أعرف ثقافة ، وأكثرهم بعداً عن الغلو في الدين أو التزمت فيه . مالي إذن لم تنهمل عبراتي كما انهملت عبراتهم ، ولم يزد تأثري أمام قبر الرسول عن تأثري أمام بيت الله ، وما أحسبني دون أحد منهم ايماناً بالله وتصديقاً لرسوله ﷺ وحباً اياه ! أتراهم أرهف مني حساً وأدق شعوراً ، أم إنّا نختلف رأياً وتفكيراً ؟

ولم أطل تقليب النظر في هذه الأمور بادىء الرأي ، وكفاني أن ذكرت أني توجهت الى الله بالحج مخلصاً ، فلي في مغفرته ذنوبي أعظم الرجاء ، وأنني جئت ألتمس بزيارة نبيه الكريم الذكر والأسوة مزيداً في الرجاء أن يهديني الله سبيله الذي دعا اليه محمد عبده ورسوله . هذا الى أنني خلقت عصي الدمع لا تسعفني العبرات ما تسعف غيري ، فان أوشكت ضننت بها ضنا بكرامتي وإبائي . وما أدري لعليٍّ كذلك خشيت أن يكون في البكاء مظهر عبادة ، وقد قال عليه السلام : «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد» وانما تفيض دموع المؤمن من خشية الله ! ! .

بعض اسرار الحج

قد يبدو بادىء ذي بدء أن الحج عبادة رمزية غير معقولة المعنى ، ولا ظاهرة الحكمة وان ما يأتيه الانسان من أعمال انما هو امتثال للأمر ، واظهار للعبودية وقيام بحق الله (فحسب) ولكنه عند التأمل تتجلى أسراره وتظهر آثاره وتنكشف حكم الله في تشريعه ، وانه ما كان ليشرع لولا ما فيه من خير ومنافع للناس فهو نوع من السلوك او من التدريب العملي على مجاهدة النفس من أجل الوصول الى المثل الكامل ، والاندماج في روحية خالصة ، تمتلىء فيها القلوب بحب الله : والاخبات له ، وتنطلق الحناجر هاتفة بذكره في نشيد علوي خالص لله «لبيك اللهم لبيك لا شريك

لك لبيك ، لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» بينما يرتدي المرء ملابس خالية من الزينة ، ومن كل ما يثير في النفس عوامل العجب والخيلاء[1] وجاء رجل الى النبي ﷺ فقال : اني جبان واني ضعيف ، فقال : هلم الى جهاد لا شوكة فيه : الحج .

جاء في كتاب مختصر منهاج القاصدين[2] ما موجزه عن اسرار الحج : اعلم أن في كل واحد من أفعال الحج تذكرة للمتذكر ، وعبرة للمعتبر فمن ذلك أن يتذكر بتحصيل الزاد ، زاد الآخرة من الاعمال .

وليقصد بحجه وجه الله تعالى ، بعيداً عن الرياء[3] والسمعة . فان الله سبحانه لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً له وقد قال : (ولله الدين الخالص) .

فاذا فارق وطنه ودخل البادية وشهد تلك العقبات ، فليتذكر

---

١) من رسالة «من الاسلام» للشيخ سيد سابق ص ١٧٠ .

٢) طبعة المكتب الاسلامي للاخ الاستاذ محمد زهير شاويش وهذا الكتاب هو موجز لكتاب الاحياء للغزالي .

٣) ومما يدل على الرياء طلب الحاج من الناس - او سماحه لهم - أن ينادوه «الحاج فلان» وكتابة ذلك على باب بيته أو حانوته . ومثل ذلك ان يطلب من أهله وأصحابه عند عودته من الحج ، ان يقيموا له الزينة أمام بيته . ويُخشى من كل ذلك ان يبطل حجه .

بذلك خروجه من الدنيا بالموت الى ميقات القيامة ، وما بينها من الاهوال .

ومن ذلك أن يتذكر وقت احرامه وتجرده من ثيابه ، اذا لبس المحرم الاحرام لبس كفنه ، وأنه سيلقى ربه على زي مخالف لزي أهل الدنيا .

وإذا لبى ، فليستحضر بتلبيته اجابة الله تعالى ، إذ قال : (وأذن في الناس بالحج)[1] وليرج القبول ، وليخش عدم الإجابة . وكذلك اذا وصل الى بيت الله الحرام ، ينبغي ان يرجو الأمن من العقوبة ، وأن يخشى أن لا يكون من أهل القرب ، غير أنه ينبغي ان يكون الرجاء غالباً عليه ، لان كرم الله سبحانه عميم ، وحق الزائر مرعي ، وذمام المستجير لا يضيع .

ومن ذلك اذا رأى البيت الحرام ، استحضر عظمته في قلبه ، وشكر الله تعالى على تبليغه رتبة الوافدين اليه وليستشعر عظمة الطواف في البيت فإنه صلاة .

---

١) يشير الغزالي بقوله الى حديث «الحجر الأسود يمين الله في الأرض ، يصافح به عباده» قال الامام ابن الجوزي رضي الله عنه : حديث لا يصح فيه اسحق بن بشير كذبه ابن أبي شبيه وغيره . وقال الدارقطنى هو في عداد من يضع ، وقال ابو بكر العربي : هذا حديث باطل فلا يلتفت اليه . وراجع من أجل معرفة سر تقبيل الحجر الأسود ، موضعه في أول حجة النبي ﷺ .

ويعتقد عند استلام الحجر الأسود انه يبايع[1] الله على طاعته ، ويضم ذلك الى عزيمته على الوفاء بالبيعة وليتذكر بالتعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم لجوء المذنب الى سيده وقرب المحبة[1] وقد أنشد بعضهم :

---

١) قال الامام ابن القيم في كتابة «روضة المحبين» ما ملخصه : من علامات محبة المحبوب محبة بيته ؛ وهذا هو السر الذي لأجله علقت القلوب وعكفت على محبة الكعبة البيت الحرام ، حتى استطاب المحبون في الوصول اليها هجر الأوطان والاحباب ولذّهم فيها السعي الذي هو من العذاب ، فركبوا الاخطار وجابوا (قطعوا) المفاوز والقفار ، واحتملوا في الوصول غاية المشاق ولو أمكنهم لسعوا اليها على الجفون والاحداق .

نعم أسعى اليك على جفوني　　　وان بعدت لمسراك الطريق

وسرّ هذه المحبة هي اضافة الرب – سبحانه – له الى نفسه بقوله : (وطهر بيتي للطائفين) .

لما انتسبت اليك صرت معظما　　　وعلوت قدرا دون من لم ينسب

وكل ما نسب الى المحبوب . واذا كان من يحب مخلوقاً مثله يحب داره كما قال الشاعر :

أمرّ على الديـــار ديـار ليلى　　　أقبل ذا الجدار وذا الجـدار

وما حبّ الديار شغفن قلبي　　　ولكن حب من سكن الديارا

فكيف بمن ليس كمثله شيء ، ومن ليس كمثل محبته محبة ؟ (ص ٢٦٩–٢٧٠) .

١) قال الاستاذ محمد أسد في كتابه : «الاسلام على مفترق الطرق» ص ٢٢–٢٣ : لا ... وهناك مثل آخر لهذا الاتجاه ، في فريضة الطواف –

ستور بيتك نيل الأ من منك وقد علقتها مستجيراً أيها الباري
وما أظنك لما أن علقت بهـــا خوفاً من النار ، تدنيني من النار
وها أنا جاريبتٍ ، أنت قلت لنا حجوا اليه ، وقد أوصيت بالجار

ومن ذلك : اذا سعى بين الصفا والمروة ، ينبغي أن يتمثلهما بكفتي الميزان ، وتردده بينهما في عرصات القيامة ، أو تردد العبد الى باب دار الملك ، اظهاراً لخلود خدمته ، ورجاء الملاحظة بعين رحمته ، وطمعاً في قضاء حاجته .

وأما الوقوف بعرفة : فاذكر بما ترى فيه من ازدحام الخلق ،

بما أن الطواف فرض عين على كل حاج الى هذا البلد المقدس ، وذلك بأن يطوف سبع مرات حول الكعبة . وبما أن هذا الفرض من أهم الأركان الأساسية ، الثلاثة في الحج الاسلامي فإنّ لنا الحق أن نتساءل فنقول : ما معنى هذا ؟ وهل من الضروري أن نعبر عن تقوانا بهذه الصورة الشكلية ؟

إن الجواب واضح تماماً ، اذا نحن درنا حول شيء ما ، فاننا نقرر أن هذا الشيء هو النقطة المركزية لعملنا . ان الكعبة التي يولي كل مسلم وجهه شطرها في صلاته ، ترمز الى وحدانية الله ، وان الطواف حولها يرمز الى جهود الحياة الانسانية . وهكذا نرى ان الطواف لا يعني أن أفكارنا هي الخاشعة وحدها فقط . بل حياتنا العملية وأعمالنا وجهودنا أيضاً ، كل هذه يجب أن تتمثل في نفسها فكرة الله ووحدانيته على أنها مركز لها ، كما جاء في القرآن الكريم : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) الذاريات : ٥٦ .

وارتفاع أصواتهم ، واختلاف لغاتهم موقف القيامة ، واجتماع الامم في ذلك الموطن ، واستشفاعهم . فإذا رميت الجمار : فأقصد بذلك الانقياد للأمر ، وإظهار الرق والعبودية ، ومجرد الأمتثال من غير حظ النفس .

وأما المدينة – المنورة – فاذا لاحت لك ، فتذكر أنها البلدة التي اختارها الله تعالى لنبيه ﷺ وشرع اليها هجرته ، وجعل فيها بيته ، ثم مثل في نفسك مواضع أقدام رسول الله ﷺ عند تردده فيها وتصور خشوعه وسكينته .

فإذا قصدت زيارة القبر – بعد صلاة ركعتي تحية المسجد – فاستحضر مرتبته في قلبك ، ثم سلم عليه واعلم بان الله تعالى يرد عليه روحه ليرد عليك السلام كما جاء في الحديث الصحيح اه بقليل من التصرف .

ما سر جعل الحج في مكة ؟

في تقديرنا أن الوادي المحروم من الماء والزرع قد وقع الاختيار عليه لأغراض منها :

أولا : إن القحولة في أرضه وسيلة لتذكير الانسان بعريه أمام الله يخرج فيها من حوله وطوله وماله ورزقه ليجد نفسه امام الذات الالهية فقيراً اليه سبحانه ، وتتضح في نفسه أمام الصورة الكاملة السلطة الالهية العليا والوحيدة ، فليس أشد أغراء للانسان واثارة لغروره من أن يجد معالم الثراء تحيط به من كل جانب .

ثانياً : إن الناس في حاجة مستمدة الى ينبوع يلجأون اليه كلما نزل بهم ضر أو أغواهم الشيطان أو صرفتهم الصوارف عن ذكر الله وليس كالصحراء بما فيها من العري التام ومن العزلة عن متاع الدنيا وزينتها مصدراً المثل المغنى الذي تحدثنا عنه قبل .

ثالثاً : ان التربية الاعتقادية في الاسلام قد قصدت ، بجعل الوادي القاحل مكاناً لعبادة الحج ، الى أن تعلن حقيقة نفسية اجتماعية هي أن عناصر التقدم في المجتمع ليست محددة بمواطن الثروة المادية وحسب ولكن هذه العناصر في حاجة مستمرة إلى تلك الطاقة الروحية والمتوفرة في مفهوم العبادة المحضة ، والتي بدورها

تغذي إرادة التعاون والتجمع والجهاد . واستمرار مكة مدينة حافلة بالحياة رغم كل الظروف وكل المعوقات المادية هو الآية والعلامة على أن العامل الروحي الذي تصنعه العقيدة هو عنصر أساسي من عناصر التكوين المجتمعي ومصدر لانطلاقة مسيرة الحضارة البشرية .

إن قدرة العقيدة على استقطاب الرجال والنساء واجتذابهم لزيارة هذا الوادي المبارك هي وحدها التي تفسر احتفاظ مدينة مكة بوجودها الدائم .

رابعاً : إن وجود البيت الحرام في الأرض القفراء والذي يرمز الى الوجود المستمر للعقيدة الاسلامية يبدو لنا بمثابة الضمانة المادية دون انصراف الاطماع الكافرة اليه : فليس في أرضه ما يغري أعداء الاسلام على احتياجه أو بدفعهم الى القضاء على معالمه الدينية[1] .

حديث ضعيف عن المسجد النبوي

«من صلى في مسجدي أربعين صلاة لا يفوته صلاة كتبت له براءة من النار ونجاة من العذاب ، وبرىء من النفاق»

هو حديث ضعيف ، فيه نبيط بن عمرو ، وهو مجهول فلا

---

١) من مقال في « مجلة الوعي » الكويتية العدد ٨٣ للاستاذ رمضان لاوند .

يغتر بمن صححه ، وهو يوقع الحجاج في حرج[1] .

حديث ضعيف عن فضل الحج ماشياً

«من حج من مكة ماشياً حتى يرجع الى مكة ، كتب الله له بكل خطوة سبعمائة حسنة ... الخ» وهو حديث ضعيف جدا فيه عيسى بن سواده قال البخاري وأبو حاتم : منكر الحديث ، وصححه الحاكم ورده الذهبي بقوله : «ليس بصحيح» وقال ابن معين : كذاب ، رأيته والجمهور على أن الحج راكباً أفضل .

---

١) راجع سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمّة ٤٥/٥ ، ١٢ .

خاتمة

في روحانية الحج

أخي الحاج .

أرجو أن تكون قد أديت جميع مناسكك حسب ما أمر الله تعالى ، وأمر رسوله ليكون حجك مقبولاً ، كما أرجو أن تكون بعد أداء فريضة الحج قد أصبحت إنساناً جديداً وازددت إيماناً عميقاً في إسلامك ، وتلقيت شحنة قوية في وطنك الروحي : ينبوع الوحي الالهي ، ومصدر الذكريات المقدسة ، وتاريخ المجد (والعظمة) .. وسعيت جهدك في تحقيق ما أمكنك في شهود منافع الحج الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وزاد ارتباطك بالمسلمين في جميع أقطار العالم ، فتعود الى بلادك وأنت ممتلىء يقظة وحماسة ، وتضحية للتمسك بالاسلام : هذا الدين العظيم ، والعمل على تطبيقه في جميع شؤون حياتك ، والسعي لنشره والتبشير به بين الناس ، والتعاون مع العالم الاسلامي سياسياً واقتصادياً من أجل تحقيق العزة والمجد والوحدة التي وضع حدودها الله سبحانه .

واعلم يا أخي الحاج ان علامة الحج المبرور المقبول أن يعود

الحاج متمسكاً بأوامر ربه ، مجتنباً نواهيه ، متأهباً للقاء رب البيت بعدما التقى بالبيت .

احرص يا أخي الحاج على الحفاظ على شخصيتك الإسلامية التي صورها الله ، واسع على الدوام لكسب رضاه لتظفر بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

اسأله سبحانه أن يجعل حجنا مقبولاً ، وذنبنا مغفوراً ، وجهادنا متواصلاً ، ويوفقنا لتدبر قرآننا والعمل بما جاء فيه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

محمود مهدي استانبولي

أدعوني استجب لكم

هذه أدعية جاءت في القرآن الكريم والسنة الصحيحة مطلقة وغير مقيدة بزمان أو مكان ، فعلى الحاج أن يكثر منها كلما سنحت له الفرصة وساعده الوقت ولا يشغله عن الدعاء شيء في كثير من أوقاته في الحج ، فإن الدعاء هو العبادة كما جاء في الحديث الصحيح .

ونذكر بهذه المناسبة أن ما يتداوله بعض الحجاج من الرسائل والأحزاب التي فيها اضافة بعض الأدعية لكل منسك من مناسك

الحج شيء لا أصل له في السنة هو يسبب بلبلة وتعقيداً لدى الحاج ، ويصرفه عن الافادة من موسم الحج فيما يعود عليه وعلى المسلمين بالنفع والخير من القضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .. وقد ذكرت فيما سبق الادعية الواردة عند القيام ببعض اعمال الحاج ، فينبغي الاكتفاء بها ، ودعاء الله بالادعية العامة بعد ذلك .

من أدعية القرآن الكريم

١ – رَبَّنا آتِنا في الدُّنيا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذَابَ النَّار .

٢ – رَبَّنا لا تُزِغْ قُلوبَنا بعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا ، وَهَبْ لنا مِنْ لدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أنت الوهَّاب .

٣ – ربنا آمنا بما أنزلتَ واتَّبعْنا الرَّسولَ فاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدين .

٤ – رَبَّنا اغْفِرْ لنا ذُنوبَنا وإِسْرافَنا في أمْرِنا ، وَثَبِّتْ أقدامَنا وانصُرْنا على القَوْم الكافِرين .

٥ – ربِّ اجعَلْني مُقيمَ الصَّلاة ومِنْ ذُرِّيتي ، رَبَّنا وتَقَبَّلْ دُعاءِ . رَبَّنا اغفِرْ لي ولوالديَّ وللمُؤْمِنينَ يوْمَ يقومُ الحسابُ .

٦ – رَبَّنا اغْفِرْ لنا ولإِخوانِنا الَّذينَ سَبَقونا بالإِيمانِ ولا تَجْعَلْ

في قُلوبِنا غِلّا للَّذينَ آمنوا رَبَّنا إِنَّكَ رؤوفٌ رحيم .

٧ – رَبَّنا عليْك تَوكلْنا وإلَيْكَ نُبنا وإليكَ المصيرُ . رَبَّنا لا تجْعَلْنا فتْنةً لِلَّذينَ آمنوا واغفِر لنا ، رَبَّنا إنَّك أنتَ العَزيزُ الحَكيم .

٨ – رَبَّنا أَتمِمْ لنا نُورَنا واغفِرْ لنا إنَّكَ على كل شيٍّ قديرٌ .

٩ – رَبَّنا لا تؤاخِذْنا إنْ نَسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحْمِل علينا إصراً كما حَمَلْتَهُ على الّذينَ مِنْ قَبْلنا ، ربَّنا ولا تُحَمِّلْنا ما لا طاقة لنا به ، واعفُ عنَّا واغفرْ لنا وارْحَمْنا أنتَ موْلانا فانصُرْنا على القومِ الكافِرينَ .

١٠ – رَبَّنا ما خَلقْتَ هذا باطلاً سُبْحانكَ فَقِنا عذابَ النَّار ، رَبَّنا إنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أخزيْتَهُ وما للظالِمينَ مِنْ أنصار . رَبَّنا إننا سَمِعْنا مُنادِيًا ينادي للإِيمانِ أنْ آمنوا بربِّكُمْ فآمنَّا رَبَّنا فاغفر لنا ذُنوبنا وكَفِّرْ عنَّا سَيِّئاتِنا وتوَفَّنا معَ الأبْرار . ربَّنا وآتِنا ما وَعَدتنا على رُسُلكَ ولا تُخْزنا يوْمَ القِيامَةِ إنَّكَ لا تُخْلِفُ الميعاد .

١١ – وقلْ رَبِّ أَعوذُ بكَ مِنْ هَمَزاتِ الشَياطين وأعوذُ بكَ ربِّ أن يَحضُرونِ .

١٢ – علَى اللهِ تَوكَّلْنا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنة للقوْم الظَّالمين ، ونَجِّنا بِرَحْمَتِكَ مِنَ القوْمِ الكافِرين .

١٣ – الحمْدُ لله الَّذي هَدانا لهذا وما كُنا لِنهتَدِيَ لولا أن هَدانا اللهُ .

١٤ – رَبِّ هَبْ لي حُكْمًا وألحِقْني بالصَّالحِين ، واجعَلْ لي لسانَ صِدْقٍ في الآخِرين ، واجْعَلْني مِنْ ورَثَةِ جَنَّةِ النَّعيم ، واغفر لأبي أنه كانَ من الضالين ولا تُخْزني يوْمَ يبعَثون ، يومَ لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بَنون ، إلا مَن أتى اللهَ بقلَبٍ سليم .

١٥ – رَبِّ أوزعني أن أَشكر نعمتك التي أنعمت عليّ ، وعلى والديّ ، وأنْ أعمل صالحاً ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصَّالحين .

١٦ – رَبِّ قد آتيتني من المُلك وعلَّمْتني من تأويل الأحاديث فاطِرَ السَّموات والأَرضِ أنتَ وليّي في الدُّنيا والآخِرةِ توفني مُسْلِماً وألحقني بالصَّالحينَ .

١٧ – ربِّ اشرحْ لي صدْري ويسِّرْ لي أمري .

١٨ – رَبَّنا أفرغْ علينا صبراً وثَبِّت أقدامَنا وانصرنا على القوْم الكافِرين .....

١٩ – رَبَّنا اصرف عنَّا عذابَ جَهَنَّمَ إنّ عذابها كان غَراما .

٢٠ – رَبَّنا اكشِفْ عنَّا العذابَ إنّا مؤمنون .

٢١ – رَبِّ أَوزعني أنْ أشكُر نِعْمَتَكَ التي أنعَمْتَ عليَّ وعلى والِديَّ ، وأنْ أَعْمَلَ صالحاً تَرْضاهُ وأصلحْ لي في ذُرِّيَّتي إني تبْتُ إليك وإني من المُسلِمِين .

– سبحان رَبِّك رَبَّ العِزَّةِ عمَّا يصفون وسلامٌ على المُرسلين والحمدُ لله ربِّ العالمين .

من الدعاء المأثور عن النبي ﷺ

١ – اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي اليها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير . واجعل الموت راحة لي من كل شر .

٢ – اللهم اغفر لي خطئي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني ، اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم والمؤخر وأنت على كل شيء قدير .

٣ – اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى .

٤ – اللهم إني أعوذ بك من الجبن والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من

زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها .
اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر وفتنة الدنيا وعذاب القبر .

٥ – اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كبيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم .

٦ – اللهم اكفني بحلالك عن حرامك ، واغنني بفضلك عمن سواك .

٧ – يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك .

٨ – اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك ، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد .

٩ – اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل إثم ، والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة والنجاة من النار .

١٠ – اللهم أقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون علينا به مصائب الدنيا . ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على أعدائنا ،

ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا .

١١-ربِّ أعنِّي ولا تعن عليَّ ، وانصرني ولا تنصر عليَّ ، وأمكر لي ولا تمكر عليَّ ، واهدني ويسِّر هُداي إليَّ وانصرني على من بغى عليَّ .

١٢-رب اجعلني لك شاكرًا ، لك ذاكرًا ، لك راهبًا ، لك مطواعًا ، اليك مخبتًا ، إليك أوَّاها منيبًا ؛ ربِّ تقبل توبتي ، واغسل حوبتي ، وأجب دعوتي ، وثبت حجتي ، واهد قلبي ، وسدد لساني واسلل سخيمة قلبي .

١٣ - اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والجبن والبخل وضلع الدين ، وغلبة الرجال والهرم . وأعوذ بك من عذاب القبر . وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ، وأرذل العمر .

١٤ - اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ﷺ وأعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد ﷺ ، وأنت المستعان ، وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وأنشد الشاعر أبياتاً مؤثرة دعا فيها ربه :

يا من يرى ما في الضمير ويسمع	أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها	يا من اليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول كن	أمنن فإن الخير عندك أجمع
مالي سوى فقري اليك وسيلة	فبالافتقار اليك فقري أدفع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة	فلئن رددت ، فأي باب أقرع

ومن الذي أدعو وأهتف باسمه ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصياً الفضل أجزل والواهب أوسع

الحج عن الميت

إن مسألة الحج عن الغير إذا سمح بها الرسول ﷺ في بعض الأحوال المعينة فليس معنى ذلك أنها تصح في جميع الحالات كحالة تهاون المسلم عن الحج ، وهو مقتدر مالياً وبدنياً حتى إذا أدركه الموت أوصى بأن يرسل من يحج عنه !

وإذا جاز ذلك وسقط الحج عن هذا الموصي ، فمعناه إبطال فريضة الحج الهامة التي ينبغي أن يحضرها المستطيعون من المسلمين للافادة من اهداف هذه الفريضة في الشؤون المختلفة سواء في أداء المناسك وسواء في شهود المنافع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ...

وقد رأيت أن أذكر البحث الفقهي الهام في هذا الموضوع للكشف عن حقيقة موضوع الحج عن الغير نقلا عن كتاب الروضة الندية (ج ١ ص ٢٧٥) وقد كتمه الكثيرون لغاية في أنفسهم . ليأكلوا أموال الناس بالباطل !

وأما الحج عن الميت والاستئجار له ، فاعلم أن الحج من الواجبات المتعلقة ببدن المكلف ، والظاهر في الواجبات البدنية

أنها لا تلزم بعد رفع قلم التكليف ، وانتقال المكلف من هذه الدار التي هي دار التكليف الى دار الآخرة ، لأنه لم يبق من طلب منه الفعل . فمن قال إنه يلزم الميت الإيصاء بشيء من الواجبات البدنية بان يفعله عنه غيره بعد موته لم يقبل الا بدليل ، أو قال من تبرع عن ميت بفعل واجب بدني أجزأه ، لم يقبل ذلك منه الا بدليل .

وقد ورد الدليل في أمور ، منها الصوم الحديث : «من مات وعليه صوم صام عنه وليه» ولكن ليس في هذا الحديث وجوب على الميت ، بل الايجاب على الولي[1] وغاية ما يستفاد من قوله «صام عنه» انه يجزىء ذلك الصوم عن الميت[2] .

---

[1]) ليس في هذا الحديث ايجاب الصوم على الولي ، فقد زاد البزار لفظ «إن شاء» .

[2]) لا يصلي أحد عن احد ولا يصوم صيام رمضان ، وإنما يصام عن الولي إذا كان عليه صوم نذر . فقط كما في حديث ابن عباس الآتي ! ولو صح الصوم مطلقاً من الولي ، لما صام أحد رمضان من المترفين ، ولأمر أولاده أن يصوموا عنه ! .

وقالت المالكية : واذا استأجر الشخص من يحج عنه سواء أكان صحيحاً أم مريضاً ، سواء أكان الذي استأجر عليه فرضاً ام نقلاً ، فلا يكتب له أصلاً ! بل يقع الحج نقلاً للأجير . وانما يكون للمستأجر ثواب مساعدة الأجير على الحج . كما أنه اذا أوصى الشخص قبل موته بالحج عنه ، وحج عنه بعد الموت ، أو فعل ذلك ورثته إيصاء منه ،

فعن ابن عباس رضي الله عنه ان امرأة قالت: يا رسول الله ! إن أمي ماتت وعليها صوم نذر . فأصوم عنها ؟ فقال : أرأيت لو كان على أمك دين ، فقضيته أكان يؤدَّى ذلك عنها ؟ قالت : نعم قال فصومي عن أمك رواه البخاري ومسلم .

والقول بجواز صوم النذر عن الميت فقط من قبل وليه هو قول إبن عباس وأصحابه ، والإمام أحمد وأصحابه ، وهو الصحيح ، لأن فرض الصيام جار مجرى الصلاة ، فكما لا يصلي أحد عن أحد ، ولا يسلم أحد عن أحد ، فكذلك الصيام . وأما النذر فهو التزام في الذمة بمنزلة الدين ، فيقبل قضاء الولي ، كما يقضي دينه وهذا محض الفقه . وطرد هذا ان لا يحج عنه ولا يزكى عنه ، الا اذا كان معذوراً بالتأخير : وأما المفطر من غير عذر أصلاً فلا ينفعه أداء غيره لفرائض الله تعالى التي فرط فيها ، وكان هو المأمور بها ابتلاء وامتحاناً دون الولي ، فلا تنفع توبة أحد عن أحد ولا إسلامه عنه ، ولا اداء الصلاة عنه ، ولا غيرها من فرائض الله تعالى التي

بأن استأجروا له بعد موته من يحج عنه ، فانه لا يكتب للميت أصلاً لا فرضاً ولا نقلاً ، ولا تسقط عنه حجة الاسلام اذا كان لم يؤدها حال حياته ، وهو مستطيع قادر عليها ... (الفقه على المذاهب الاربعة (١/٦٧٦) .

مما سبق ندرك – يا أخي المسلم – ضرورة المسارعة لأداء فريضة الحج فوراً وبدون تأخير ، قبل أن يتداركنا العجز والمرض والعوز ، فيصيبنا الموت ، ولا ينفعنا من يحج عنا !

أن أخا شبرمةاو قريبه لم يحجج لعذر !

فرّط فيها حتى مات ، والله تعالى أعلم[1] (الروضة الندية) .

واما الحج فلم يرد ما يدل على وجوب الوصية على الميت بل ورد ما يدل على وقوع الحج من القريب عن قريبه الميت كما في حديث من نذرت أخته أن تحج فماتت قبل أن تحج . وكذلك ورد ما يدل على وقوع الحج من الولد لابيه اذا كان في حياته عاجزاً عن الاتيان بالفريضة كما في خبر الخثعمية .

وأما ايجاب الوصية بالحج او انه يجزىء ، من كل أحد عن كل ميت ، فلا دليل على ذلك فيما أعلم .

نعم اذا اوصى بالحج بنصيب من ماله ، فقد جعل الله ثلث ماله في آخرعمره يتصرف به كيف يشاء ما لم يكن ضراراً ، فالموصي بالحج كأنه أوصى بنصيب من ماله المأذون له بالتصرف في ثلثه ، فيجب امتثال وصيته .

وأما كون ذلك يسقط الواجب على الميت ، فمحل تردد عندي ، ولاسيا اذا كان الذي حج عنه ليس من قرابته ، فان القرابة لها تأثير في القيام ببعض الواجبات البدنية من الحي عن الميت كما في حديث : « صام عنه وليه » وكما في حديث الذي نذرت أخته ان تحج .

وأما حديث : « حج عن نفسك ثم عن شبرمة » فهو وان كان في بعض السنن ، لكن لم يصرح فيه بأن الملبي عن شبرمة كان

اجنبياً عنه ، بل ورد في رواية : «وهو أخ له أو صديق» ومع الاحتمال لا يتم الاستدلال وفي لفظ انه قال له النبي ﷺ : «من شبرمة ؟ قال أخ أو قريب» وقد أخرج هذه الرواية البيهقي . والظاهر ان اعتناءه به وتلبيته عنه وطيبة نفسه ، بأن يكون حجه له للقرابة بينهما ، اذ من البعيد ان يفعل ذلك لغير من بينه وبينه قرابه[1] » . ثم ليس في الحديث أن شبرمة هذا كان قد مات اذ ذاك .

واما ما رواه الثعلبي في تفسيره بلفظ « من أوصى بحجة ، كانت له أربع حجج وحجة الذي كتبها» فمع كونه غير مرفوع «لا يدري كيف إسناده» والثعلبي ليس من اهل الرواية ، فقد روى في تفسيره الموضوعات وقد أخرج البيهقي مثل ما ذكر عن جابر مرفوعاً ، كما ذكره صاحب التخريج ، فينظر في سنده ، فما أظنه يصح .

والحاصل أن هذا البحث طويل الذيول مشعب الحجج والنقول ، فمن رام العثور على الصواب ، فعليه بالفتح الرباني فتاوى الشوكاني «ودليل الطالب على أرجح المطالب» لهذا العبد الضعيف . وليس مقصودنا هنا إلا التنبيه على الحق الحقيق بالقبول . وإن أباه أكثر العقول . وحديث «فدين الله أحق أن يقضى» ليس المراد دفع الاجرة لمن يحج ، بل المراد أن الحج عن الوالد يصح من الولد كما يصح منه قضاء الدين . انتهى باختصار .

بيان المسافات البرية بالكيلو متر

٧٣	من جدة الى مكة المكرمة .
٣٧٨	من جدة الى المدينة المنورة .
١٧٥	من جدة الى الطائف
٣٣٥	من جدة الى ينبع
٥	من جدة الى المطار
٨٥	من جدة الى وادي فاطمة
٤٨	من جدة الى الحديبية
١٣٥	من مكة الى الطائف
٩٥٧	من مكة الى الرياض
٢١٢	من المدينة المنورة الى ينبع
١٤	من المدينة الى المطار

بيان المسافات بالامتار بين المشاعر وغيرها

١٠٤٢	من باب شيبة الى مقبرة المعلاة (الحجون)
٢٣٧٨	من المعلاة ادنى الحجون الى سبيل الست (وهو طول وادي المحصب الذي نزل فيه ﷺ عائداً من عرفة)
٣١٢٠	من سبيل الست الى جمرة العقبة
١٥٦	من جمرة العقبة الى الجمرة الوسطى

١١٦ من الجمرة الوسطى الى الجمرة الصغرى

٣٥٢٨ من الجمرة الصغرى الى نهاية وادي محصر حيث يضيق الوادي ويستحب الاسراع فيه لانه مكان رمي اصحاب الفيل .

٣٨١٣ من نهاية وادي محسر الى أول المأزمين (حيث اسم كل من الجبلين هنا مأزم والمأزم لغة طريق الوادي الضيق) .

١٥٥٣ من علمي عرفة الى سفح جبل الرحمة

٣٧٤ من الصفا الى المروة

٧٠ ما بين الميلين الاخضرين

٢٥٠٠٠ من مكة الى عرفات

٢٠٠٠٠ من منى الى عرفات .

٥٠٠٠ من مكة الى منى

مقدار المسافة بين المواقيت وبين مكة بالكيلومتر

٤٥٠ ذي الحليفة أو آبار علي

٩٤ ذات عرق (شرقي مكة)

٢٠٤ الجحفة او رابغ

٩٤ قرن المنازل (جبل يطل على عرفات)

٥٤ يلملم (جبل جنوب مكة)

نصائح طبية للحجاج[1]

قبل السفر

١ – على كل من يرغب في الحج أن يعرض نفسه على الطبيب ، ليعرف مدى امكانيته على تحمل اعباء السفر والحج . خصوصاً اذا كان ذاهباً بطريق البر وعليه الا يسافر اذا منعه الطبيب ، فمعنى ذلك أنه لا يستطيع جسمانياً والحج لمن استطاع اليه سبيلا .

٢ – اذا تقرر سفره فليبادر بالتطعيم ضد الجدري ، والكوليرا ، ولا يتهاون في ذلك حفظاً على سلامته .

٣ – سيكون الحج هذا العام في أيام الشتاء ، فاحرص على ان تأخذ معك ملابس صوفية ، ولا تعرض نفسك للبرد القارس ، اثناء الطريق .

٤ – خذ معك بعض المعلبات ، لاستعمالها أثناء السفر .

٥ – اذا كنت مسناً ، فلا تسافر بطريق البر ، فان هذا مشقة عليك ، ولا تأخذ معك أطفالاً ، ولا نساء حوامل في أشهرها الأولى أو الأخيرة فان عناء السفر شديد .

---

١) بقلم الدكتور محمد أبو شوك رئيس الوحدة الباطنية بالمستشفى الاميري في الكويت . نقلاً عن رسالة الحج هدية مجلة الوعي الاسلامي .

اثناء السفر

١ – النظافة من الايمان ، فاجعلها دائماً في كل شيء : في مأكلك وملبسك ، وشرابك ، ولا تتناول طعاماً خارج منزلك الا في المطاعم المعروفة بنظافتها ، وكل ما أخذت من المعلبات .

٢ – الماء تأكد أن مصدره صحي ، وإذا لم تتأكد ، فضع عليه مطهراً ، وخذه من البعثة الطبية .

٣ – التحف جيداً أثناء الليل ، خصوصا اذا كان الجو بارداً ، لكي لا تصاب بنوبة برد ، أو آلام في عضلاتك .

٤ – ابتعد عن كل من يصاب بالزكام ، أو (النشلة) ، لكي لا تصاب مثله ، وإذا أصبت فلا تتهاون في ذلك ، وأعرض نفسك على طبيب البعثة .

٥ – اذا كنت ممن يتناولون الدواء : للسكر ، أو لارتفاع ضغط الدم ، فداوم على استعمال الدواء . والطعام الخاص أثناء السفر ، وأيام الحج ، وأثناء العودة ، وخذ معك الدواء الذي يكفيك ، وأعرض نفسك على طبيب البعثة لتستشيره في أي عرض تحس به .

أيام الحج

١ – كن معتدلا في كل شيء ، فخير الأمور الوسط ، ولا تجهد نفسك ، وتعرضها للخطر ، بحجة أنك تكسب ثوابا أكبر .

٢ – لا تأكل الا في المحلات النظيفة ، وابتعد عن شراء المأكولات من الطريق .

٣ – لا تسرف في أكل اللحوم ، فلقد لوحظ أن معظم الاسهال يكون نتيجة لها . وكل الفواكه الطازجة بكثرة ، ولا تسرف في الطعام والشراب ، واذا حدث لك اسهال أو قيء فسارع الى مقر البعثة للعلاج .

٤ – اذا كان الجو حاراً ، وكنت تعرق بكثرة ، فأكثر من الملح في طعامك ، أو تعاطى (اقراص الملح) .

٥ – اذا اصبت بالزكام (أو النشلة) فسارع الى علاجها ، واذا ارتفعت درجت حرارتك فابق في مسكنك يوما او يومين لكي لا تتعرض للمضاعفات ، كالتهاب الشعب الهوائية ، والالتهاب الرئوي ، وما يصحبها من سعال ، واذا لا قدر الله أصبت بذلك ، فسارع الى مقر البعثة للعلاج .

٦ – عصير الليمون وعصير البرتقال الطازج ، يعطيك كمية من الفيتامين الهام في هذه الحالات .

٧ – لا تتكدس أنت ومن معك في الخيمة . لكي لا تجعلوا مجالا كبيراً للعدوى بالأمراض المختلفة .

٨ – ديننا يسر لا عسر ، فلا تجهد نفسك بالصعود الى قمم الجبال العالية أو السير كثيراً على قدميك . أو التعرض لأشعة الشمس المحرقة ، ظنا منك أنك تأخذ أجراً أكثر على ذلك ، فالله يقول (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) (البقرة / ١٩٥) ويقول : «لا يكلف الله نفسا الا وسعها» (البقرة / ٢٨٦)

٩ – لا تتهاون اذا اصبت بأي مرض ، واعرض نفسك على الطبيب ، قبل أن يستفحل مرضك ، أو تحدث لك مضاعفات .

١٠ – لا تذبح وانت بمنى في الطرقات ، أو بجوار خيمتك ، فان هذا يعرضك ، ومن معك للأمراض ، والرائحة الكريهة ، واذبح في الأماكن المخصصة للذبح .

كن حذراً ، كن نظيفاً ! كن معتدلا في كل شيء والله يحفظك برعايته .

واتمنى لك حجا مبروراً ، وذنباً مغفوراً ، وسفرا مريحا ، واقامة سعيدة ، وعودا بسلامة الله الى وطنك وأهلك .

تعليمات للحجاج

بيان عن الطرق التي يسلكها الحجاج القادمون براً

الحجاج عن طريق الكويت	كلم	الحجاج عن طريق قطر	كلم
الحفجي	١٤٦	سلوى	٧٥
السفانية		العقير	١٠٠
ابو حدر به	١٥٦	أبقيق	٢٢٥
الدمام	٣١٠	خريص	١٦٠
خريص	١٦٠	الرياض	
الرياض	٣٣٠	مكة	٩٠٤
الدوادمي	١٦٦		
بئر صقر	١٠٦		
عفيف	١٣٥		
ظلم (أ)	٢٣٥		
الحوية	٢٦		
الطائف	٧٢		
مكة			
ظلم (ب)	١٩٥		

عشيرة	٣٠		
السيل	٣٠		
الزيمة	٢٠		
الشرائع	٢٨		
مكة			
المجموع (آ)	**١٤٧٢**	**المجموع**	**١٤٦٤**
المجموع (ب)	١٨١٢		

الحجاج عن طريق الاردن	كلم	الحجاج عن طريق العراق	كلم
المدورة	٥٧	رفحة	٧٠
بئر هرماس	٥٩	بركة الأعشار	٦٠
تبوك	١١٤	الشعيبة	٦٠
القليبة	١٢٨	حائل	٣١٨
تيماء	٢٤٠	الجانكية	١٢٤
خيبر	١٥٠	المدينة	٣٩٠
المدينة	٣٩٠	جدة	٧٠
جدة	٧٠	مكة	
مكة			
المجموع	**١٢٠٨**	**المجموع**	**١٠٩٢**

الحج بين الماضي والحاضر

لقد كان الحج في القرن الماضي قطعة من العذاب ، تحفه المخاطر والشدائد ، فكان الذاهب اليه مفقوداً ، والعائد منه الى بلده مولوداً ! وقد وصف الكاتب محمد لبيب البنتوني في كتابه : «الرحلة الحجازية» قافلة الحجاج في حلها وترحالها بين مكة والمدينة ، وصفاً دقيقاً رهيباً ، ، رأينا نقله للحجاج ليعلموا كم هم

الآن فى أمان ونعيم يؤدون مناسك حجهم مطمئنين على أرواحهم وأموالهم ، وقد توفرت لهم جميع أسباب الراحة والمياه العذبة والأطعمة الطيبة من خضار وفواكه باسعار معتدلة .

قافلة الحجاج بين الاهوال !

«ووقت تحليل القافلة وتنزيلها تكثر السرقات من الجمالة انفسهم . وقد يتفق جمالك مع جمال آخر فيحضر هذا في الوقت الذي يلهيك فيه بصريخه وصياحه ، في حين الآخر ينقض على عفشك ويسرق منه ما تصل اليه يده ، حتى إذا هدأ روعك شعرت بما نقص من متاعك . وهناك يكثر الصياح فيقول هذا : خرجي . ويقول الآخر : ملابسي .. وغيره يصيح : لحافي ، وهكذا و بعد هرج ومرج من غير فائدة يسكت الصائحون شاكين أمرهم الى الله ، و يشتغلون بتجهيز شؤونهم .

«وليست الجلبة قاصرة على هؤلاء ، بل نرى الصراخ من انحاء القافلة بتمامها . فهذا يصيح : يا حاج فلان . وذلك ينادي : يا حاجة فلانة .. وآخر يقول : اندر[1] . وغيره يوهم بأنه يشاهد الحرامي فيقول : شايفك .. وآخرون يشتغلون بنصب خيامهم ، فيدق هذا بمطرقته ، ويتصارخ الآخر مع جاره الذي زحزحه عن عن مكانه . وهو في أثناء ذلك يزعق مع الذي من ورائه لانه يزاحمه

---

١) اندر : من كلمات أهل مكة ، بمعنى : اخرج .

على محله . وتسمع فيما بين ذلك أصوات الأعراب ، هذا يقول : الحطب ، الحطب . وآخر يقول : الماء ، الماء[2]، وهكذا .. وما هم الا سارقون ما تصل اليه أيديهم ، ويفرون من حيث لا يشعر بهم أحد .

«وبالجملة فتستمر هذه الجلبة صاعدة في هذا الفضاء الى عنان السماء نحو ساعة من الزمان أعنى ريثما ينزل الحجاج حمولهم ، وينصبون خيامهم ، ويمهدون فراشهم رحالهم ، ويحيطونهم بشقادفهم التي تلتف بها جمالهم وجمالتهم . وهناك يبدأ هذا في جلب الماء بنفسه او بواسطة جماله ، وآخر يستقضي الخشب ، وغيره ينصب القدر لطبخ بعض الاغذية الجافة كالعدس والارز واللحم المجهز ، وذلك في المحطات الصغيرة التي لا تطول الاقامة فيها . أما المحطات الكبيرة فيشترون منها اللحم الطري الذي يذبحه بعض أعرابها . وبعد العشاء يشربون قهوتهم وينامون بعد أن يعطوا الجمالة عشاءهم .

والرفقاء من الحجاج يتناوبون السهر في حراسة عفشهم ومن يسهر منهم تراه على الدوام يصرخ بكلمات الاضطراب والانزعاج كقولهم : شايفك .. ابعد لا تقرب .. وهكذا والحجاج يقضون حاجتهم بين رحالهم في الغالب ! ومن ابتعد عنها لا بد أن يكون

---

٢) الماء ، الماء .

معه أنيس يحرسه عند اشتغاله بنفسه .. وإلا فانه لا يحرم واحداً من الاعراب ينقض عليه ويضربه في راسه بعصا يابسة قصيرة تخمد معها أنفاسه ! وهنالك يشلحه من ملابسه أو يكتفي بقطع كمره من حزامه أو من ذراعه . فاذا استغيبه صحابته قاموا للبحث عنه فيجدونه اما فاقدا للحياة فيوارونه التراب على حاله ، وإما فاقداً للشعور فيأخذونه ويقومون بشأنه ، وقليلا ما ينجو من هذه الضربة .

وقد يقطع الجمالة بعض الجمال من القافلة في أثناء سيرها ، ويتظاهرون باصلاح حمولتها ، حتى إذا ابتعدت القافلة عنهم وقعوا بركابها وهم يستغيثون ولا يغاثون ، وسلبوهم متاعهم ، وكثيراً ما يجهزون عليهم . ويفرون بجمالهم الى حيث أرادوا .

وقد ألف اللواء ابراهيم رفعة الذي حج أربع مرات كان في احداها أميراً للحج عام ١٩٠٨ م ، كتاباً سماه « مرآة الحرمين » ضمنه جميع مذكراته في رحلاته . وقد ذكر تحت عنوان « الاحتفال بتلاوة الفرمان السلطاني » مبلغ الهدايا والتحف الثمينة التي كان يبعث بها السلطان العثماني من استانبول إلى الشريف عون . شريف مكة بالاضافة إلى الأموال الضخمة التي يقدمها له لحماية الحجاج وتأمين راحتهم وسلامتهم ، فكان مما قاله اللواء ابراهيم :

ويتضمن الفرمان الثناء على الشريف والخليفة ، ونصح الشريف بمساعدة الحجاج وكف أذى العربان عنهم ، وصرف المرتبات لأربابها . كما يتضمن كثيراً من الآيات والأحاديث التي تأخذ بمجامع القلوب ، ولكنها مواعظ لم تصادف الأذن الصاغية والقلوب الواعية ، فإنك تسمع عقب تلاوته دوي الرصاص يرمي به الاعراب حجاج البيت الحرام ، وترى دولة الشريف يقول : سيبوهم !

وكان شريف مكة قد وضع المكوس الباهظة على جميع الحجاج من أغنياء وفقراء على السواء بدون رحمة .

الغاء المكوس

ثم تناول اللواء الحديث عن الخطوة التي خطاها الملك عبد العزيز بالغاء رسوم الحج التي كانت تجبى من الحجاج إلى خزانة الدولة .

وكان بعض الاشراف يحتال في الحصول على هذه المكوس حيلا شتى ، ومن ذلك ما ذكره اللواء ابراهيم رفعت (باشا) في كتابه «مرآة الحرمين» من أن شريف مكة فرض على كل حاج ريالاً بدعوى إعانة السكة الحديدية ، وحبس الحجاج عن مغادرة مكة ألا أن يؤدُّوا هذه الضريبة المفروضة ، فظلوا سبعة أيام لا يؤذن لهم في الخروج ، حتى أتم المطوفون تحصيل هذه الضريبة من الحجاج جميعاً !

على أنهم ما كادوا ينفلتون من هذا الاسر البغيض ، الذي جعل مقامهم بمكة – ذلك البلد الحرام الذي تهوى اليه القلوب وتهفو الأرواح – جحيما لا يطاق الصبر عليه ، ولا تطيب النفس الا بالفرار منه .

ما كادوا ينطلقون من اسارهم هذا حتى كان جنود الشريف يترصدون في مضيق بين جبلين ، فيطالبونهم بأن يؤدوا ريال « الحكومة » عن كل جمل في القافلة !

واضطربت القوافل بعشرات الألوف من الحجاج في « شقادفهم » على الجمال ، وأصابهم من الأهوال والأذى أضعاف ما أصابهم في مكة . ولم يسمح لهم بالمرور من ذلك المضيق الذي أحصروا فيه الا أن يؤدوا هذا « المكس » لشريف مكة الذي لا يؤمن بما قاله جده ، ولا يعنيه أن يذهب إلى الجنة أو إلى النار .

هذه بعض المواقف والأهوال والمعاملات الرهيبة التي كان يعامل بها الحجاج في العهد البائد ، حتى استولى على الحكم الملك عبد العزيز آل سعود فكان أول ما قام به رحمه الله تعالى الغاء رسوم الحج[1] التي كانت تجبى من الحجاج ، وطبق الشريعة الإسلامية مما كان سبباً في انتشار الأمن والسلام ، خاصة في موسم الحج

---

١) راجع رسالة لبيك اللهم لبيك للاستاذ كامل حته ص ٤٩ .

حيث يكون الحجاج مشغولين بتأدية مناسكهم والقيام بشؤونهم المختلفة ، تاركين أمتعتهم هنا وهناك فلا يفقد شيء منها ، مما لا يتصور مثله في أرقى عواصم الدنيا في العصر الحديث .

كان ذلك نتيجة عقوبة قتل القاتل العمد ، وقطع يد السارق ، فهل لبقية الحكومات الاسلامية والعربية تطبيق هذه العقوبة صيانة للأمن وحفاظاً على طمأنينة المواطنين على أموالهم .. وانقاذاً للصوص أنفسهم قال تعالى (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب !) .

١٣ – ثم خرج رسول الله ﷺ من باب الصفا الى الصفا ، فلما دنا منه قرأ : قوله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر ، فلا جُناح عليه أن يطوّف بهما ، ومن تطوّع خيرًا ، فإن الله شاكر عليم) .

دمعتان .. داميتان !

لا بد - يا أخي الحاج - قبل أن أودعك وأختم هذه الرسالة من أن أذرف أمامك دمعتين داميتين يعجز القلم عن التعبير عنهما :

الدمعة الأولى

على هذه الالوف الكثيرة من الحجاج ، جيوش محتشدة ، جاءت من كل فج عميق ، لتلحق بأماكنها من المعركة التي أعلنها الاسلام ضد قوى الشرك والطغيان والاستعمار .

ولكنها - ويا للأسف - جيوش صورية بكماء خرساء ، لفقدان اللغة العربية الواحدة التي لا يمكن للجماعات وللجيوش الاسلامية التفاهم والتعاون والنصر بدونها .

كم في القرآن العظيم من آيات ، وكم في السنة المطهرة من أحاديث يفهم منها ضرورة تعلم اللغة العربية سواء من أجل تدبر نصوص الشريعة ، وسواء من أجل التفاهم والتعاون وسواء من أجل تحقيق شهود المنافع في موسم الحج ، والقاعدة الفقهية تقول : « ما لا يتم الواجب الا به ، فهو واجب ! »

وكل ذلك مفقود اليوم - ويا للحسرة - بسبب الجهل باللغة العربية التي فرضها سبحانه لتكون اللغة العالمية الاسلامية الموحدة للمسلمين جميعاً ، على اختلاف لغاتهم وألوانهم ، ما دامت لغة قرآنهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم .

لقد غدا الحج - نتيجة الجهل باللغة العربية المشتركة - في حكم العدم بشأن المنافع ، الأمر الذي أدى الى فقدان كثير من غايات الحج ! !

وكل ذلك ناجم عن ضعف وعي أغلب المسلمين الاعاجم وقلة

اهتمامهم ، وعدم إدراكهم لمراميه البعيدة ، ولمصالحهم الذاتية ، واستسلامهم للمخطط الاستعماري الذي سعى ويسعى لتمزيق وحدتنا ، وتفريق شملنا عن طريق التجهيل باللغة العربية : لغة الاسلام ، فبات المسلمون كالصم البكم يتفاهمون بالاشارات ، أو بلغة أعدائهم المستعمرين ! ؟

أليس من المؤلم ان يعرف كل يهودي – على الغالب – لغة دينه العبرية ، إلى جانب لغته الوطنية ، يعلمه ابواه إياها سراً او جهراً كيلا يضيع تراثه المحرف وعنصريته المدمرة التي سببت له الاضطهاد والنكبات عبر عصور التاريخ بسبب نوايا اليهود العدوانية للبشر جميعاً ؟ ؟

ومع كل هذا الاضطهاد ، اصروا بعناد على تعلم لغتهم العبرية . فإذا اغتصبوا فلسطين تم التفاهم بين جميع أفرادهم ...

بينما نحن المسلمين أهملنا لغتنا الحبيبة العظيمة عماد وحدتنا ودراسة ديننا الذي جعل منا خير أمة اخرجت للناس ، وحلق بنا في ذرى المجد والحضارة ، ودفعنا لانقاذ البشرية من الجهل والشرك والضلال .

الا يستحق هذا المصير المؤلم إرسال دمعة أسف وحزن وحسرة على غفلة المسلمين وتهاونهم ؟ !

ليت الدول العربية ترسل اساتذتها خلال العطل الصيفية الى الديار الأعجمية الاسلامية ، لتعليم ابنائها اللغة العربية ، على ان تستمر وسائل إعلامنا على تدريس هذه اللغة عن طريق الاذاعة والتلفزيون والكتب والمجلات .

ولا شك ان هذه الشعوب ستستقبل هؤلاء الاساتذة بكل سرور وتحسن اكرامهم فهم اخوة لنا في الدين والتاريخ والآمال والآلام المشتركة ، وهم ايضاً حلفاء مخلصون ومحبون للعرب ، فهلا عمدنا الى تقوية صلاتنا بهم ؟ ! .

والدمعة الثانية

ارسلها لفقدان التعاون والتعاطف بين المسلمين على اختلاف ديارهم ، فنراهم جميعاً وقلوبهم شتى ، فيعتدي المستعمرون على شعب من شعوبهم ، فلا يتحرك الباقون لمؤازرته ، فيبقون متفرجين ، فيقضون عليه ، وهكذا حتى يستولي هؤلاء المستعمرون عليهم جميعاً ،والمسلمون ساهون لاهون . ولو هبوا هبة رجل واحد اذااعتدى على أي جزء من اجزاء العالم الاسلامي معتد ، لكان لهم شأن عظيم ، ولهابهم الأعداء ، ولما تجاسروا على الإعتداء على شعب منهم ! ! إن الشارع كلف المسلمين أن ينفر المستطيعون منهم الى الحج كافَّة ، فهلا تلَّقوا الدروس منه لينفروا للجهاد كافَّة !

إن مثل المسلمين الان مثل الغنم يذبحها القصاب بالدور والتدريج ، حتى يقضي عليهم جميعاً ...

أين هذا السلوك الشاذ من قوله تعالى : (إنما المؤمنون اخوة) وقوله سبحانه : (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) وقوله عليه السلام في الحديث الصحيح : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .) وشعار الاسلام دائماً : (من لا يهتم بأمر المسلمين ، فليس منهم ! !)

أين هذا السلوك المخزي من قول الشاعر :

اذا ألمت بوادي النيل نازلــة   باتت لها راسيات الشام تضطرب
وإن دعا في ذرى لبنان ذو ألم   أجابه من ذرى الاهرام منتحب

التقيت عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م) بجماعة من الجزائريين جاؤوا الى الحج ، وقد كانت الثورة الجزائرية على أشدها مع الفرنسيين ، فسألتهم : كيف الحال في الجزائر؟ فقالوا إن الجزائريين في قتال عنيف مع فرنسا . فقلت لهم : انكم شركاء مع القتلة الفرنسيين لاخوانكم ، قالوا :

وكيف ذلك : لانكم تركتموهم يقتلهم الاعداء وجئتم الى الحج ولستم وحدكم في الإثم ، بل جميع الحجاج كذلك ، ولكن اثمكم أشد بحكم الجوار ، فان الساكت عن الحق شيطان أخرس ، والمتفرج على المقتول المظلوم شريك قاتله .

لو كان لدى المسلمين وعي اسلامي ، وكانوا مسلمين وبين أعدائهم ، في أية بقعة من بقاع العالم الاسلامي ، حولوا سياراتهم و بواخرهم وطائراتهم من الحج الى مكان المعركة وشاركوا اخوانهم في الجهاد ، تاركين الحج لأعوام اخرى ..

ومن اغرب ما رأيته في الحج عام (١٣٧٤هـ) (١٩٥٤م) أن شاباً سنغالياً في الجيش الفرنسي في حرب الجزائر ، جاء مأذوناً لاداء الفريضة ، ويداه ملطختان بدم المسلمين الجزائريين .. !

أين المسلمون اليوم من النكبة الاخيرة التي اصابت اخوانهم في باكستان من هجوم الهنود الوثنيين وهم اكثر منهم عدداً وعدة ، فهاجموهم في عقر دارهم ، واستولوا على جزء كبير من بلادهم بعدما شردوا اطفالهم وسفكوا دماءهم ، كل ذلك على مشهد من المسلمين ، وخاصة جيرانهم في الافغان ، واندونيسيا ، وماليزيا .

سبب هذا كله عدم تدبرهم كتاب ربهم . ولما تدبروهم بحق في فجر التاريخ الاسلامي وأخذوا به بقوة ، خلق فيهم الوعي وايقظ فيهم روح التضامن والجهاد ، ففتحوا العالم من المحيط الى المحيط بأقل من قرن واحد من الزمن .

اين المسلمون اليوم من هذا القرآن العظيم ، فقد أهملوه كنظام ودستور ، وجعلوا منه بضاعة للموتى . وما احسن ما قاله احد المفكرين :

«يا أيها المسلم : ان هذا الكتاب – القرآن – الذي هو مصدر حياتك ،

ومنبع قوتك ، لا اتصال لك به الا اذا حضرتك الوفاة ، فتقرأ عليك سورة (يس) - كما يقول الحديث الضعيف . - لتموت بسهولة ..

« فوا عجباً كيف اصبح هذا القرآن الذي انزل ليمنحك الحياة والقوة ، يتلى الآن لنموت براحة ويسر .. »

فإلى الثورة على هذه التقاليد الباطلة البعيدة عن الاسلام ، والى تدبر القرآن والعمل بما جاء فيه بقوة وحماسة وتضحية وإلى المسارعة لتعليم العربية وإحياء روح التعاطف ... والى حمل مشعل الاصلاح الديني الذي تتوقف عليه نهضتنا ومجدنا ، ادعو العلماء والمفكرين والمجددين « وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه انيب » .

فهرس

(كيف حج النبي ﷺ)

تأليف: محمود مهدي الاستانبولي

الموضوع	الصفحة

(كتب الاستاذ محمود مهدي الاستانبولي)

تحفة العروس

كيف تتعلم الاسلام بدون معلم

دين الغد (باللغتين العربية والانكليزية)

كيف حج النبي

عظمة الاسلام

التربية في الاسلام

تقاليد يجب أن تزول

أسرار العشاق

السبيل الى أسرة أفضل

غارة الاستعمار والتبشير على العالم الاسلامي

مجلة المعلمات في خمسة مجلدات

أطفالنا ضحايانا (انتقاء)

التضامن الاجتماعي الاسلامي

نقد تقارير ساطع الحصري

عبقرية الاسلام في التربية

أنا مؤمن بالله. لماذا؟

التربية الجنسية على المكشوف
دمشق المريضة
نقائص الأطفال وطريقة اصلاحها
دولة الاسلام
رسالة بالانكليزية عن الاسلام
حوار بين الفلاسفة حول تأسيس الأخلاق
مدارس رياض الأطفال وطريقة اعدادها